٣٠٠٠٠١٧

# مجلة
# جامعة أم القرى
# للبحوث العلمية المحكمة

(العدد السابع عشر)

العدد الخاص
بالمناسبة المئوية لتأسيس
المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ ١٩٩٨م

رقم الإيداع ٢٣٠٣٣ وتاريخ ١٤١٥/١١/١٢هـ . الرقم الدولي المعياري للدوريات ردمد : ١٣١٩-٤٢١٦ ISSN

٣٠٠٠٠١٧-١

# العزلة : الفكرة والتّطبيق

## ( دراسة شرعيّة نفسيّة )

دكتور

محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود

أستاذ الحديث المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

# ملخص البحث

العزلة نمط من أنماط السلوك الإنساني وقع في تأويله ، وتحليله ، وإدراكه خلاف عميق بين من خصه بالبحث والدراسة .

ووجدت في كتب اللغة ، وتأويل المفسرين ، والمحدثين ، وعلماء النفس، أن الاعتزال في جانبه الأكبر له علاقة قوية بالعامل النفسي لدى الإنسان الذي له علاقة وطيدة بنشأته وتربيته .

فالذي يميل إلى العزلة طبعاً ، يختلف عن الذي يعزله المجتمع قسراً ، أو يعزل نفسه نفسه عنهم هرباً ، أو مداراة أو تفرغاً.

فالأول شعر من نفسه نوعاً من القصور الذاتي جعلها تتمحور حول نفسها ، وتنكمش حول ذاتها ، مما يحتاج معه إلى قوة خارجية تدفعه لإخراج نفسه من الدوائر المفرغة ، كالانشغال عن ذاته بالآخرين ممن حوله ، أو بما حوله من الأعمال المحببة إلى النفس .

وأما الثاني فعزلته من العقوبة له ، أو هي وسيلة لنجاته عند وقوع الفتن، أو هي حاجة ماسة لإنجاز فكري ، أراد التفرغ لإتمامه ، وهذا الجانب له أهمية كبيرة ، وتأثير إيجابي على حياة الإنسان ، إذ من الضرورة بين وقت وآخر أن يعتزل من حوله ، وينفرد بنفسه ، ليستجم من عناء الصخب ، وأنواع الصراعات بين البشر ، ليتأمل ، ويتكر ، وينتج .

وأما الذي يعزل نفسه هرباً ، أو مداراة ، ويفرض على نفسه العزلة فهو في عرف علماء النفس مريض ، يحتاج إلى علاج ، لأنه يشعر بفراغ الحياة، وعدم جديتها . ويزداد الأمر سوءاً في حقه إذا كان سفيهاً أو جاهلاً بأمور دينه إذ إن لأمور الإيمان في نفس المسلم تأثير إيجابي على نهجه ، وسلوكه . والحياة لا تخلو من منغصات ، وقد وصف الشارع الصبر علاجاً لأكثرها كما جاء في الحديث ( المؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط ولا يصبر على أذاهم ) .

ولعل من أبرز صفات تعاليم الدين الإسلامي ، الحث المتكرر على التآلف ، والتعاون والتآخي بين أفراد المجتمع في أكثر من مجال . فيجتمعون في المساجد كل يوم وليلة خمس مرات لأداء الصلوات ، ويوم الجمعة من كل أسبوع وصلاة العيدين من كل عام .

ويتقاطر المسلمون من أنحاء مختلفة من العالم إلى مكة لأداء فريضة الحج مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا .

كل هذه المحافل العظيمة تمزج المسلمين بعضهم ببعض ، فتكون بينهم الخلطة ، وتبادل المصالح ، والشعور بالأمن ، والاستقرار،غير أن الحاجة إلى العزلة تبقى قائمة عند كثير من الناس في هذا العصر ، لتزايد المؤثرات الحسية والمعنوية عليهم ، مما يمكن اعتبار العزلة نمطاً سلوكياً علاجياً يمكن لإنسان اليوم ممارسته علاجاً لكثير من الضغوط التي تقع عليه إذا كان ذلك وفق معايير دينية واجتماعية منضبطة . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس)

هذا وقد قيل : إن العزلة وسيلة للشعوب لا إرادية لحماية مبادئها ، وأفكارها ، ومعنى العزلة قائم في أغلب تصرفات الجماعات .

والله أعلم . وصلى الله على نبينا محمد .

## مقدمة :

الحمد لله المتفرد بالكمال والجلال . والصلاة والسلام على نبيه الإمام،
أما بعد :

فإن الرغبة في الخلود إلى الراحة ، وأن يخلو الإنسان بنفسه بالانقطاع عن مجتمعه ، ومن حوله ، وما يشغله من أمور شتى في حياته ، مطلب إنساني نابع عن حاجة النفس البشرية إلى السكون ، والهدوء . فإن الحركة الدائبة ، المستمرة ، من شأنها إتلاف كثير من مكونات الإنسان الأساسية . لذا – والله أعلم – أمضى الله سنته على أكثر خلقه ، بقضاء جزء كبير من مدة عيشه على الأرض نائمين .

والنوم انطقاع شبه تام للذات الإنسانية عن غيرها ، وانعزال حسي عن الآخرين ، بل هو حالة وفاة تفارق فيه الروح الجسد ، فيمسك الله التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى كما قال تعالى : ﴿ الله يتوفّى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ الزمر آية/٤٢ .

فالنوم يحتاجه المخلوق لنموه وتماسكه ، ليدبّ على الأرض بنشاط وحيوية . فكأنه عزلة قسرية فرضت على الإنسان ، لطفا من الله به ورحمة .

وكلما كثرت حاجة الإنسان إلى التفكر ، والتدبر ، كثرت حاجته إلى الانفراد ، والعزلة ، كما وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته . فقد نفر من عادات قومه الجاهلية ، وكان همّه معرفة الحقيقة ، وكشف الصلة بين

الخالق والمخلوق ، فعمد إلى غار في جبل حراء يطل على الكعبة عن بعد ، وهو في ضاحية مكة الشرقية ، بعيد عن العمران ، وما حوله خلاء . قضى في ذلك الموضع النائي أياما ، يتأمل ، ويتدبر حتى نزل عليه الوحي ، فكان بداية عهد جديد للبشرية على الأرض . فالعزلة كما قال أحدهم : " هي معينة لمن أراد نظرا في علم ، أو إثارة لدفين رأي ، واستنباطا لحكمة " قال : ومخالطة الناس ملهاة ومشغلة " (١) .

والإنسان السوي لا يكاد ينطقع عن التأمل ، والتفكير ، والتدبر ، بل قد يصل هذا في حق المسلم إلى عبادة ، ترسخ مفهوم الإيمان با لله تعالى في نفسه، ومطلق قدرته – جل وعلا – وبديع صنعه في مخلوقاته . فما من شيء حولنا وفي أنفسنا إلا وفيه آية على عظمة ا لله ، ووحدانيته ولا يدرك ذلك الا المتأمل . وقد امتهن الأنبياء جميعا قبل بعثتهم رعي الغنم ، كما بين ذلك النبي صلى ا لله عليه وسلم حين قال : " ما بعث ا لله نبيا إلا رعى الغنم " فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : " نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة "(٢) . ومهنة الرعي ، تفسح مجالا واسعا لصاحبها يتأمل فيه ما حوله ، ويتفكر فيما يرى ، بدءاً بنفسه ، وماشيته ، وانتهاءاً بالكون الفسيح ، المحيط به . وذلك يتلاءم مع طبيعة الغنم بخلاف الابل ، فمعها يكون السكون التام ، والصمت المطبق ، والخلوص إلى ضاحية المدينة بعيداً عن صخب الحياة ومعتركها . وفي سيرها الهوينا تترك مجالا واسعا لراعيها يتنقل ، ويتلفت ، ويشاهد ، ويقارن . وفي شريعتنا الغراء ما يقدّر للعزلة قدرها عند نشوب الفتن ، واختلاط الحابل بالنابل ، مما يحتاج معه المؤمن إلى توقي الحذر في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو إقرار . ولا يتأتى له ذلك إلا بالرجوع إلى ما يرضي ا لله ورسوله من

قول وعمل ، يفرّ بدينه منها إلى الله ، ويتمنى حسن خاتمة له ، باعتزال مواطن الفتنة ودواعيها ، وأسبابها ، مما يجعل الحاجة إلى التدبر بعيداً عن فروقات الآراء، والأهواء ، ملحة ، فيخلو بنفسه طلبا للنجاة . ولا نجاة من فتنة القول أو العمل إلا بالحد والتقليل منهما ، والاكتفاء بالأخذ بصالحهما ، ويصعب على كثير من الناس فعل ذلك مع الخلطة . فكان الاعتزال خير عون له على تحقيق ذلك . ومعترك الحياة اليوم لا يكاد يبقي على الإنسان الملتزم حالا صالحاً يظل فيه مهتديا ، وملتزما بقواعد دينه ، إلا بشقّ الأنفس . فكل ما حوله يغريه بالأخذ بأسباب الحياة المادية ، الطاحنة ، التي لا تهدأ ساعة ، ويكون ذلك في الغالب على حساب آخرته ، وما يمكن أن يأتي به من أعمال صالحة تقربه إلى الفوز بنعيمها ، رحمة من الله وفضلا . فيستهلك رصيده في الحياة الدنيا على حساب رصيده في الآخرة ، فيقع عليه الغبن عند عرض الأعمال ، وتصنيف الخلائق إلى شقي وسعيد ﴿ والعَصر ، إنّ الإنْسان لفي خُسر ، إلّا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وتواصَوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر ﴾ العصر/١-٣ .

وفي تعاليم ديننا الحنيف ما ينير للمسلم المتعقل طريقه في الحياة الدنيا ، هديا ، وإرشادا للتي هي أقوم . وقد أدرك أنه فيها عابر سبيل ، يمضي إلى مستقره . وهو مطالب بعمارة الأرض ، والأخذ بالأسباب ، والمسببات ، والسعي في مناكبها ، التي جعلها الله له سبلا وفجاجا . ومن أبرز قواعد ديننا الحنيف ، التي تمكن المسلم من حفظ توازنه في الحياة الدنيا ، قاعدة الأخذ بالوسطية ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقْتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ الفرقان /٦٧ وقال تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ... ﴾ الإسراء ٢٩ .

فالمسلم بمقدوره أن يوازن بين عيشه ، وسلوكه ، فلا يقبل إلا الحلال في العيش ، ولا يسلك لذلك إلا ما أباحه الله له ، ونبيه . فمن استطاع أن يمسك بالعصا من وسطها فقد فقه " فإن الإغراق في كل شيء مذموم ، وخير الأمور أوسطها . وقيل : ما أمر الله عباده بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : فإما إلى غلو ، وإما إلى تقصير ، فبأيهما ظفر قنع " (٣) .

والعزلة ليست شرّاً محضا ، ولا خيرا محضا . وهي ليست غاية في نفسها وإنما هي وسيلة للوصول إلى الغاية . وهي النجاة بالنفس من أسباب العذاب يوم القيامة ، لمن خاف على نفسه أثر الفتن . والعزلة كما وصفها الإمام الخطابي " تنقسم إلى فرقتين – بضم الفاء المعجمة – الفرقة الأولى : فرقة الآراء، والأديان . والفرقة الثانية : فرقة الأشخاص والأبدان . فالأولى أمرها محظور في العقل ، محرم في قضايا الأصول لأنه داعية الضلال . ولو ترك الناس متفرقين لتفرقت الآراء ، والنحل ، وكثرت الأديان ، والملل .

والجاهلية لم يكن لهم إمام يجمعهم على دين ، ويتألفهم على رأي واحد .

والثانية تابعة للحاجة ، وجارية مع المصلحة " . أ.هـ (٤) .

ومما دفعني إلى الكتابة في موضوع العزلة ، ومفهوم الاعتزال ، وأسبابه ونتائجه ، ما أكاد أجزم بأن الأغلبية من ذوي العقول ، والمدارك السليمة يوافقني عليه ، ألا وهو فساد الذّمم بين أكثر الناس اليوم في معاملاتهم ، وعلاقاتهم واستساغة النفاق لمن يملك منفعة تعود عليهم بفائدة مادية . وتغلب الجانب المادي على الجانب الأخوي ، والإيماني ، فباع بعضهم دينه بعرض من الدنيا . وبخس بعضهم بضاعة الذين يرجون وجه الله فيما يصدر عنهم .

وذهـب أهـل الدّثـور – إلا مـن رحـم ا لله – بـالأخذ بـأنوا ع شـتى ، ومسـميات كثيرة للربا ، فـأصبح مستسـاغاً عندهـم ، ولا يكـاد أحدهـم يدفـع الزكاة طيبة بها نفسه ، وراضية ، ويأكل الربا . وظهـر التنـافس علـى الدنيـا ، والفسـاد في الأرض بمـا كسـبت أيـدي النـاس ، وتفشــي الكـذب ، وضعـف الرجال. وتحكم النساء في كثير من مظاهر الحياة . وأصبح تعلم العلم لا للعمـل به ، بل لكسب العيش . والوصول إلى المناصب ، وغرض من الدنيـا . وأصبـح من العسير التميـيز بـين الصـادق ، والكـاذب في المعـاملات ، في بيـع وشـراء ، وشهادةوادعاء ، وبين المظهر والمخبر . وإن كنت ضعيف الإرادة لا تقوى علـى كبح جماح نفسك الأمارة بالسوء ، وتخشى علـى حـالك الوقـوع في شـيء مـن تلك الصفات ، أو لمحاولة تخليص نفسك مما وقعت فيه ، فماذا يمكن أن تفعـل ، وقد أدركك ا لله برحمته ، وأيقظ فيك ضميرك ؟!

أقرب الحلول في نظري هي أن تحاول – ولو مـرة في اليـوم – أن تخلـو بنفسك بعيدا عن أكثر مؤثرات المجتمع ، تحاسبها وتواجهها بعيوبهـا ، وتحذرهـا من مغبة أعمالها المعوجة ، وتذكرها بهفواتها ، وسقطاتها .

فإن وجد مثل هذا الرقيب المستمر ، صــار كفيـلا بـالحد مـن سـقطات اللسان ، وأفعال الجوارح في غير مرضاة ا لله ، والاستزادة مـن خصـال الخـير . فالإنسان لا يؤاخذ بما همّ به إلا أن يقول ، أو يفعل . فعندمـا تختلـج في صـدرك رغبة فعل المعصية ، فهو حديث نفس ، حتى وإن بلغ ذلـك سـؤالك في نفسـك عمن خلق ا لله ؟!! فلا تسأل عنه ، ولا تكتب عليك معصية . وكنــت أتحسّـس بأحلامي ، وخواطري طريق النجاة في الحياة الدنيا ، ولا أدّعي العصمة لنفسي ،

أو خلو حالتي من المعاصي ، والآثام ، ولكنها الخشية من الاستمرار في ذلك ، والإكثار منه . وقد علمت أن الحسنات يذهبن السّيئات ، ولا سبيل إلى ذلك بالرضا بالمكاره . فالنار محفوفة بالشهوات ، والجنة بالمكاره ، كما جاء معناه في الحديث النبوي (٥) .

فلزوم المكان ، والانفراد بالنفس عن صخب الحياة ، وضجيجها ، وعشاقها بشكل دوري كفيل – مع توفيق الله – بجعل كفة الحسنات ترجح على كفة السيئات . وكل ميسّر لما خلق له ، فليس بين الناس من يقطع لنفسه النجاة بعمله حتى أنبياء الله ، صفوة الله من خلقه ، إلا أن يتغمد الله الجميع برحمته (٦) .

# الفصل الأول : تعريف العزلة وأنواعها

## المبحث الأول : تعريف العزلة

تأتي مادة عزل في اللغة للدلالة على المفارقة الدائمة ، أو المؤقتة ، حسّيا أو معنويا . يقال : اعتزل فلان فلانا ، بمعنى فارقه ، واستقل بنفسه عنه في الرأي ، أو في المعيشة أو فيهما معا .

وتنحّى عنه ، وتنحى منه جانبا بمعنى : اتخذ لنفسه دونه مكانا ، واستقل عنه . وفلان معزال – بكسر أوله – إذا استبد برأيه ، وإذا كان مع القوم ينزل وحده . والأعزل من الرمال ، ما انعزل عنها ، أي : انقطع ، وتعزلت البيت ، واعتزلته ، بمعنى : فارقته (٧) .

وأما في الاصطلاح ، فالعزلة ، هي الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء ، والانقطاع(٨) .

وقد يصطلح الناس في المجتمع الواحد على تسمية المستقل بشئون حياته الخاصة ، والعامة ، استقلالا شبه كامل : انعزاليا . لمفارقته إيّاهم في كثير من شئون الحياة المعتادة ، وعدم مخالطتهم في المناسبات ، في الأفراح وغيرها . والدوافع إلى ذلك كثيرة ، ومختلفة ، سواء كانت في مجال العمل أو في مجال التفكير ، والآراء . وهذا المفهوم للعزلة يمكن أن يطلق على الواحد ، وعلى الجماعة . ويمكن أن يوصف بالاعتزال كل من يأتي بما يمكن أن يخالف مفهوم الاختلاط ، والاندماج . والنسبة في ذلك تختلف في مقدارها ، صعوداً وهبوطاً بين شخص وآخر ، وبين أمة وأخرى . فكل سلوك يظهر صاحبه ، أو أصحابه،

وكأنهم على هامش حياة المجتمع الذي يعيشون فيه ، فلا يحضرون مناسبات أفراده ، ولا يذكرون في الملمات ، يمكن أن يسمى صاحبه انعزاليا .

وعند الأخذ بالرأي القائل : الإنسان اجتماعي بطبعه ، ويقصد به ، انتماؤه المادي ، والمعنوي إلى الجماعة ، نتبين أن من يميل إلى العزلة ، قد تطبع بها لأسباب لها صلة وثيقة بنشأته الأولى ، إلاّ ما كان بسبب حادث مفاجئ تعرض له في إحدى مراحل حياته المتقدمة ، أو المتأخرة . وطبيعة الإنسان الاجتماعية فرضتها حاجاته الفطرية ، إلى الطعام ، والشراب ، والمأوى ، والملاذ، والحماية ، وإشباع الغرائز المختلفة عنده .

ومن حكمة الله تعالى في خلقه ، أنه فرق بين قدراتهم ، ومقدّراتهم ، فأعطى هذا ما حرمه ذاك ، ورزق أولئك ما صرفه عن هؤلاء ، وبذلك تتبادل المصالح ، وتكون دولا بين الناس . فلا يمكن بحال أن يستطيع إنسان الاستقلال التام ، الشامل عن الآخرين في متطلبات حياته الأساسية . ولو تم استغناء كل فرد عن الآخر – على سبيل المثال – واعتمد على إمكاناته الذاتية فيما يحتاج إليه ، لانتفى معنى الاجتماع ، والتجمع ، والمجتمع . ولكن هذا كله قائم مما يدل على أن ليس هناك عزلة بالمعنى الدقيق للكلمة الشامل ، المانع .

## المبحث الثاني : أنواع العزلة

ولعل من المفيد عند الحديث عن مفهوم العزلة على وجه العموم أن نقسمها إلى أنواع ليسهل التميز ، والتعريف ، والتحديد لكل نوع منها . وليس بالضرورة أن يكون ذلك التقسيم مصطلحاً شائعاً ، بل قد يكون محض اجتهاد ، ومحاولة تقريب لمعنى شامل لمفهوم العزلة ، وتأثيرها في حياة الإنسان ،

بربط كل نوع من أنواعها بفئة من الناس ، ليلتقي الجميع بعد ذلك عند مفهـوم عام وشامل ذي جوانب متعددة ، ولبيان أن للعزلة مفاهيم إيجابية ، كما أن لها أخرى سلبية في حياة الإنسان السليم ومنها :

## أولاً : العزلة الاجتماعية :

قال في قاموس علم الاجتماع : " هي درجة من الانفصال بين الأفراد ، أو بين الجماعات من منظور التفاعل ، والاتصال ، والتعاون ، والاندماج العاطفي ، والاجتماعي .

وقال : والحقيقة أن الجماعات التي تنتمي إلى هذا الأنموذج تظهر فيها مشاعر قومية بالتوحد الاجتماعي بين أعضائها ، وتعلّق أهمية عاطفية ، واجتماعية كبرى على قيمها ، وعاداتها ، ونظمها " (٩) .

يتبين من هذا التعريف أن للانفصال درجات ، وأن درجة العزلة في الانفصال قد تكون أكثر ، أو أقل ، أو مثل غيرها في قوة التأثير . وإذا اعتبرنا العزلة نتيجة وليست أصلا ، فإنها تأتي في الغالب بعد النّفور ، أو الشّعور بالإحباط أو اليأس ، وقد تكون نوعا من التعبير عن مخالفة في الرأي ، ومحاولة لإثبات الذات . وقد تكون نوعا من الهروب يقوم به أحدهم ليسلم من المسئولية . " وقد تكون حيلة دفاعية يلجأ إليها الفرد لعزل حدث ومنعه من التكرار ، بحيث لا يصبح جزءاً من تجربته " (١٠) .

فالانفصال من ( منظور التفاعل ) يكون بتبلد الشعور الحسن نحو الآخرين ، وعدم القدرة على الإسهام في التفاعل الاجتماعي ، وذلك لفقدان قدرة التأثير على الآخرين ، والاندماج بهم ، والتكيف والانسجام معهم .

ومن منظور ( الاتصال ) لتحقق العزلة بقطع الروابط الاجتماعية ، والعلاقات المكتسبة بينه وبين الآخرين من جماعة الجوار ، أو جماعة العمل.

ومن منظور ( التعاون ) تظهر العزلة عند فقد الشعور بالحاجة إلى الآخرين ، والاستغناء بقدر كبير عنهم ، أو عند اليأس من إصلاحهم .

ومن منظور ( الاندماج العاطفي ) تكون العزلة عند الشعور بالإحباط ، أو اليأس المتجسد في الشعور بالاغتراب عن الأشخاص الذين تربطه بهم علاقات قوامها العاطفة التي يتولد عنها استقرار عاطفي محض .

ومن المنظور ( الاجتماعي ) تبدأ بالميل إلى الانفراد ، والتساهل في حقوق الآخرين : من صلة ، واتصال ، وإسقاط بعض الواجبات نحوهم ، وعدم مراعاة العادات ، والأعراف ، والتقاليد قصدا أو عفوا ، ولتسميته هم في التعريف بأنهم : " جماعات " ، وأن مشاعر قومية بالتوحيد الجماعي تظهر بين أعضائها ... " الخ ، يدلل على أنهم فئة كثيرة اجتمعت على رأي ، أو فكرة تخالف ما يناقضها . فقد تكون العزلة من فرد لجماعة ، وقد تكون من جماعة لفرد ، وقد تكون من جماعة لجماعة . فإبراهيم – عليه السلام – اعتزل قومه لما عبدوا غير الله ، ولم يستجيبوا لدعوة التوحيد ، وقومه اعتزلوه لّما دعاهم إلى ما خالف معتقدهم ، فوصفه الله تعالى بأنه ﴿ كان أُمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾ النحل / ١٢٠ . خالف أمته بأسرها في منهجهم ، وسلوكهم ، واختطّ الله له منهجا قويما أصبح نواة للحنيفية السّمحة من بعده .

وذاالنون – عليه السلام – عندما لم يتجاوب قومه مع دعوته ، ذهب مغاضباً لهم ، إذ لم يكن مأمورا بالبقاء معهم إن لم يصدقوه ، وكان من شأنه ما ذكر القرآن .

ونوح – عليه السلام – دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، إلى توحيد الله فكان ومن آمن معه فئة قليلة ، ناوأت فئة كبيرة . والمسلمون في مجموعهم اعتزلوا الكافرين والمشركين في كل شأن من شئون حياتهم المخالفة لشريعتهم ، وخاصة في أمور العبادة قولا ، وفعلا ، قال تعالى : ﴿ وإن كَذّبوك فقل لي عملي ، ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ يونس /٤١ .

وقال تعالى : ﴿ قل يا أيّها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين ﴾ الكافرون ٦/١ .

## ثانياً : العزلة الثقافية :

المراد بها قطع صلات العلم والمعرفة بمجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى ، والتحكم في نوعية الثقافة بين أفراده ، وفرض نوع من المعارف ، والاصطلاحات ، والعلوم التي تخدم أهداف المستفيدين من ذلك على مجتمع بأسره ، كالدول الشيوعية مثلا ، والبلدان التي تحكم بواسطة الأفراد المستبدين، أو على فئة من الناس كالأسرى والسجناء المناوئين .

غير أن وسائل الإعلام المتاحة اليوم – وخاصة المرئية منها – تجعل مهمة العزل التام للشعوب شاقة ، بل ومتعذرة ، لخروج السيطرة عن أيدي

المستفيدين من عزلة المجتمعات . وعليه فلا عزلة قسرية تقوم مع تطور وسائل الإعلام . وأصبح للعزلة مفهوم غير ما كان عليه قبلها . فمن اتخذ لنفسه مأوى مستقلا ، وانقطع فيه عن غيره فلا يستمع حديثا ، ولا يعرف خبرا ولا يتابع حدثا ، سمي معتزلاً ، وأنه يعيش في عزلة عن المجتمع كبعض الجنود اليابانيين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية ، انقطعوا بعد هزيمة وحداتهم إلى غابة منعزلة ، وعند العثور عليهم أخيرا ظنّوا أن الحرب ما زالت قائمة ، فكانت عزلتهم عن مجتمعهم شبه تامة .

أما من انطقع اليوم في بيته عن المجتمع فإن انقطاعه يكون بجسده ، فهو يرى ويسمع ويقرأ كل جزئية مما يقع من الأحداث والتطورات في العالم بأسره ، ويتعايش معها لحظة بلحظة ، ويستطيع من مكان إقامته الاتصال بمن أراد في أي مكان من العالم – تقريبا – وأن يشارك غيره الرأي ، والمشورة ، أو يخالفه فيهما، وهو لا يبرح بيته ، ولا يجتمع بأحد من جيرانه أو معارفه . فهذا النوع من السلوك يسمى عزلة مجازا ، بل إن في كثير من المجتمعات وخاصة الصناعية منها لا يعرف الجار جاره رغم أنه يشاركه نفس البناية ، ونفس الطريق ، ونفس وسيلة النقل ، وربما نفس العمل ، ذلك لاستطاعة بعضهم الاستغناء عن بعض باستخدام وسائل الاتصال المختلفة .

إن مثل هذا التصرف يدل على أن الإنسان المعاصر في بعض المجتمعات المتحضرة ، وخاصة المادية منها ، رضي لنفسه الاعتزال بجسمه وكيانه عن الآخرين تخلصا من تبعات الخلطة ، وما تجرّه من توتر للأعصاب ومخالفة في الرأي وإعجاب بالذات . وهذا ينطبق على الإنسان المادي في المجتمعات . فهو

يعيش في مجتمع كبير ، يرى أفراده ، ويرونه غير أنه يعيش حياة مستقلة بنفسـه، تؤمن له الآلات المتنوعة معظم ما يحتاجه من خدمات .

## ثالثاً : العزلة السياسية :

( هي المحافظة ، والتقوقع ، والتنكر لكل جديد أو تقدم ، وهي حالة من الحياد تتميز بالسلبية ، أو الانطواء ، تلجأ إليها بعض الـدول باعتمادهـا العيـش بعيدا عن مواطن النزاع ، والصراع العالمي ، وتجنبا للمشكلات التي تنشـأ نتيجـة للمنافسة الدولية .

وليست الانعزالية حالة ثانوية تقوم على أساس معاهدات ، أو اتفاقات، أو مواثيق ، بل إنها تظهر عـبر سياسـة الـدول منفـردة ، غـير أن الانعزاليـة قـد أصبحت سياسة عديمة الفائدة بعد قيام المنظمات الدوليـة الـتي جمعـت بـين دول العالم ، وبعد تطور وسائل النقل والإعلام (١١) .

ولعل دول كاليابان تصلح أن تكون أنموذجا قريبا لمجتمع تبنـى سياسـة العزلة في وقت معين ، ثم ترك تلك السياسة إلى سياسة الانفتاح المنضبط .

يقـول الدكتـور محمـد الرميحي : ( الـذات الجماعيـة لـدى اليابـانيين ملحوظة ، والعمل كفريق سمة من سمات شخصيتهم الوطنية ، وكذلـك التنظيـم الاجتماعي ، فقد انصهـر المجتمـع اليابـاني منـذ القديـم ببوتقـة واحـدة ، إلا أن العزلة التاريخية – خاصة في عصر الفتوحات ، والاكتشافات الغربية منذ القـرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشـر – هـذه العزلـة فرضـت عليهـم التقدم بطريقتهم الخاصة (١٢) .

وعند الرجوع إلى سير الصحابة نجد أن سعد بن أبي وقاص اتخذ موقفا حياديا أمام الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، فلم يكن مع واحد من الفريقين قائلاً لمن دعوه للخروج معهم : " لا ، إلا أن تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ، ولسان ينطق بالكافر فأقتله ، والمؤمن فأكفّ عنه "(١٣) .

وكذا فعل محمد بن مسلمة الأنصاري قائلاً : " ما أريد أن يشتمل على شيء من أمصارهم حتى تنجلي عما انجلت " (١٤) .

وهذه عزلة إيجابية ، فإنها فرار بالدين عن معترك الفتن ، حيث لم يتبين للمعتزل الجانب الذي معه صريح الحق فيها ، ولم يكن في مكنته التصدي لها ، وإطفاء نارها . وقد أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الوطن وحث عليها ، كما سيتبين لاحقاً إن شاء الله .

## رابعاً : العزلة الأخلاقية :

سلوك يقتضيه التباين في مفهوم الأخلاق المكتسبة والمجبولة بين الناس . ويبرر ذلك السلوك – في الغالب – لدى الشعوب المتدينة والأخرى الإباحية . فمن أحاط أبناءه بسياج محكم من التربية القائمة على قواعد الأخلاق الحميدة من تعاليم الدين الإسلامي ، والأعراف السليمة ، والمروءة ، وأخذ على نفسه متابعة نشأتهم عليها بشيء من الإصرار ، وصبر على ذلك ، واحتسب الأجر من الله ، وضرب لهم المثل الأعلى من نفسه في منهجها ، وسلوكه ظاهرا وباطنا، حتى ترسخ في أنفسهم معاني الأخلاق الحميدة ، ويتطبعوا بها نهجا ، وسلوكا ، أمكن أن يطلق على ذلك النشأ ، أنهم يعيشون عزلة أخلاقية متميزة من وجهة نظر الفئات الأخرى المخالفة لها .

وأما الشعوب الإباحية فيباح لنشئها التصرف بحرية مطلقة ، بعيـدا عـن أي ضابط من الضوابط الأخلاقيـة . ولـولا تهديـد المصـالح المادية الأساسية في حياة أفرادها بالفساد ، والاضطراب ، لما اعتبر الإباحيون الكذب ، والسـرقة ، والزنا وغيرها من الخصال الذميمة جرائم أخلاقية . هذه الشعوب تعيـش عزلـة أخلاقية ، قوامها التخبط ، والتسيب ، من وجهة نظـر الملـتزمين ، يظهـر الفـرد منهم في حياته أقرب ما يكون إلى حياة الحيوان يعيش ليأكل .

وصدق الله القائل : ﴿ ... هم قلوب لا يفقهـون بهـا ، ولهـم أعـين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئـك كالأنعـام ، بـل هـم أضـل ، أولئك هم الغافلون ﴾ .

## خامساً : العزلة الدينية :

تكـون بسـبب اختـلاف المعتقـدات ، والمبـادئ بـين شـريعة وأخـرى . فيحـرص كـل جـانب علـى المحافظـة علـى أخـلاق شـريعته في نفسـه ، وأهلـه ، ومجتمعه ، ويحاول الاستقلال التام بكـل موروثـات شـريعته عـن الشـريعة – أو الشرائع – المخالفة الأخرى ، سلوكا ، ومنهجـا ، ويمنـع بـالتصدي ، والمقاومـة كل نوع من أنواع التأثير المباشر ، وغير المباشر على أفراده ، وجماعته ، وخاصة الناشئة منهم ، بتزويدهم بالثقة ، والقناعة بتعاليم شريعتهم ، مما يكسبهم منطقـاً قوياً في الجدل ، وصلابة ، وثباتاً أمام الشبه والمغريات .

( والجماعات الدينية تحاول الإبقاء على الأشكال المميزة للعبادة ، كمـا تحاول تعليم أطفالها نفس العقيدة ، وتعمل على أن تقلل ما أمكنها مـن احتمـال الزواج من جماعات أخـرى ، وهـي لذلك تعمـل علـى عـزل نفسـها لأغـراض

سكنية ، وتعليمية ، وتزويجية ، ودينية ، مع درجات متفاوتة من الدقة ، والصرامة ) . وخير مثال هذه الجماعة – كما أخبرني أحدهم الإباظية في الجزائر (١٥) .

## سادساً : العزلة النفسية :

هي ( التي يفرضها الشخص على نفسه ، ومردها إلى الإحساس بالنقص، أو بالاستعلاء ، أو بالمغايرة ) (١٦) أو الشعور بالإحباط عند اليأس من فعالية الأختلاط بالآخرين ، وجدواه ، فينطوي على نفسه ، مكونا مجتمعا مصغراً يطرح فيه أفكاره ، ويتلذذ بأمانيه . والذي يستقل بشئون نفسه ، أو بعضها عن الآخرين في مجال من مجالات الحياة ، عندما لا تضطره الحاجة إلى ملازمتهم، والاندماج معهم ، كالمفكرين في مجال التأليف ، والاختراع ، فإن طبيعة أعماهم تقتضي التفرد ، والانقطاع عن كل شاغل . روى الحكيم الترمذي في الأمثال عن القاسم بن محمد أنه قال : " هلكت امرأة لي فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها فقال لي : إنه كان عالم في بني إسرائيل ، وكان له امرأة ، وكان بها معجبا ، فماتت فوجد عليها وجدا شديدا ، ولقي عليها أسفا حتى خلا في بيته وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس فلم يكن يدخل عليه أحد..." (١٧) .

فعزلة ذلك العالم جاءت نتيجة ما اعترى نفسه من ألم ، وحسرة على فقد زوجه ، في وقت كان يحتاجها فيه ، واعتراه شعور بالإحباط عن عجزه عن تحقيق أنسه ، وراحته مع من أحب . وشعر باليأس من وجود البديل المناسب ، فأغلق على نفسه ، واحتجب عن الناس . يقول الدكتور عادل صادق : " إذا

اجتمعت سمات الانطوائية ، والخجل ، والتردد ، فإن سلوك هذا الإنسان يدفعه إلى الانعزال عن الناس ، وتفضيل الوحدة . وقال : الانطوائي يمتلئ قلبه حبا ، ولا يستطيع أن يصدر إشارة واحدة تكشف عن عواطفه . يكتظ خياله بالأحلام، والأفكار ، ولكنه غير قادر على تحقيق أكثرها تواضعا . يهرب من الناس ، يضطرب بشدة إذا اضطر أن يقابلهم ، قد يكون افضل منهم علما ، وقوة ، وسلطة ، ومالا ، ومكانة ، ولكنه يشعر بالخوف . هادئ في سلوكه بعيد كل البعد عن العنف ، والعدوانية . متردد ، موسوس ، يهتم بأفكاره ويرعاها . يهتم بالقراءة ، وأي هواية يكون فيها وحيدا ، ولهذا يصلح كعالم ، أو فيلسوف ، أو باحث ولا يصلح كممثل ، أو مسؤول في العلاقات العامة ، أو قائد لأي مجموعة من الناس وإن صغر عددها (١٨) .

## سابعاً : العزلة الصحّية :

وهي نوع من الإجراء الوقائي للحيلولة دون انتشار الأمراض المعدية بانتقالها عند المخالطة من المريض إلى السليم . فيعزل المريض في مكان يتلقى فيه العلاج اللازم حتى تنقطع عنه أسباب المرض . وفي أكثر الأحوال تكون عزلة إجبارية تفرض على المريض . وهذا النوع من الفعل لا ينافي معنى التوكل على الله ، بل لعله يدخل في مفهوم قول عمر بن الخطاب لأبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهما عندما سأله ، وقد رجع عن دخول الشام لانتشار مرض الطاعون فيه : أفرارا من قدر الله ؟ قال عمر : نعم ، نفرّ من قدر الله إلى قدر الله" (١٩) .

فا لله جل وعلا أوجد الداء ، وأوجد الدواء ، ولا شيء خارج عن إرادته ومشيئته . فمن كان خارج المكان قدّر ا لله له السلامة ، ومن كان بداخلها قدر ا لله عليه البلاء . فمن كان موبوء ، وباء معديا ، أو كان وجوده في المجتمع يسبب أذى للآخرين كالمجنون أو السفيه ، لزمه مفارقة الأصحاء ، أو ألزم بذلك . وقد صح عن النبي صلى ا لله عليه وسلم أنه قال : ( لا يُوردنّ مُمرض على مصحّ ) (٢٠) .

أي : من كان مرضه معديا فلا يختلط بالصحيح . وهذا يكون واضحا في الإبل تكون صحيحة معافاة . فإذا خالطها جمل أجرب ، انتقل الجرب إلى البقية ، وا لله هو الفاعل لكلا الحالين ، أو كما قال صلى ا لله عليه وسلم " فمن أعدى الأول " (٢١) . ولكي لا يجد المسلم في نفسه شيئا من التردد – عند إصابته بالداء – بأن لذلك الداء قدرة ذاتية ، لا سيطرة عليها من إرادة أخرى، فيدنيه هذا الهاجس إلى سوء ظن بقضاء ا لله وقدره . ويقول : لو لم أخالط ذلك المريض لسلمت من المرض .! وكذلك قد يعزل المريض عن الآخرين لحاجته إلى الهدوء ، والراحة ، وعدم التكلف بحديث ، أو تصرف .

## ثامناً : العزلة الفردية :

قال في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي : " العزل أو الاعتزال عن الآخرين من نفس النوع ، إما جغرافياً ، وإما بسبب عدم الرغبة في التزاوج مع الآخرين ، وإما بسبب الإحساس بالنقص ، أو بالاستعلاء ، أو بالمغايرة .والعزلة حيلة دفاعية يلجأ إليها الفرد لعزل حدث ومنعه من التكرار ، بحيث لا يصبح جزءا من تجربة الشخص . فعندما يحدث شيء غير سار للمرء فإنه يتوقف

لفترة يعزل نفسه عن الأحداث . ومع ذلـك فالتجربـة لا تنسـى بـالعزل ، وإنما تفرغ من الانفعال الذي كان يرافقها ويكبت ما يرتبط بهـا ، ويبقـى معـزولا لا يلعب أي دور في حياة الفرد الفكرية اليومية " (٢٢) .

ويقول الدكتور ألبرت إدوارد وليجام – أحد مشاهير علماء النفس : " إن الوحدة مرض ليس له أعـراض .ويقـول : " الوحـدة تفرض علينـا نتيجـة لأسباب وعوامـل كثيرة تترسـب في نفوسـنا ، أمـا العزلـة فنعيشـها باختيارنـا . ويقول " إن خيبة الأمل ، والإحساس بالظلم الواقع علينا – مبررا أو متوهما – من بين الأسباب التي تؤدي إلى الشعور بـالوحدة . ويقـول : ثـم هنـاك الشـعور بالنقص ، وهو في مقدمـة الأسـباب الـتي تدفـع المرء إلى الإحسـاس بـالوحدة ، والحزن على فقدان إنسان عزيز ، كثيرا ما يقتل الرغبة في الاستمرار في الحياة ، والإحساس بالفراغ والوحـدة . " ويقـول تشـارلز شـرنجتون : " إن حسـاسيتي الزائدة لما يحتمل أن أقوله ، وأفعله ، وللنتائج التي يحتمـل أن تـترتب علـى هـذا القول ، أو الفعل هي السـبب الأسـاسـي في الهـروب مـن النـاس ومـن شـعوري بالوحدة . ولكني استطعت أن أتغلب على هذا الشعور نهائيـاً عندمـا عـدت إلى نفسي ، وبدأت أفكر وأتصرف بالطريقة التي أراها مناسبة غير عابىء كثـيرا بمـا يدور في أذهان الآخرين ، فالوحدة إذاً قد تجيء نتيجة لعقدة ترسـبت في نفوسـنا منذ الصغر " (٢٣) .

وقيل : الذي يعيش وحيدا كأنه أقام بينه وبين الناس ستارا شـفافا يـرى من ورائـه النـاس ويرونـه مـن دون أن تـؤدي بـه هـذه الرؤيـة إلى التخلـي عـن وحدته، أو أن تؤدي بهم إلى مشاركته في هذه الوحدة .

## الفصل الثاني : مفهوم العزلة

### المبحث الأول : مفهوم العزلة من القرآن الكريم

عند تتبع مادة عزل في القرآن الكريم نلاحظ أنها وردت بمعان مختلفة . منها : المفارقة ، التنحي ، المجانبة ، الترك ... الخ . ونلاحظ أن مفهوم الاعتزال جاء في القرآن بوصفه حلاً يتطلبه موقف الأمور بالاعتزال ، وليس رغبة أو سلوكا فرديا منه . فجاء بمفهوم المفارقة بعد جهد في الدعوة إلى توحيد الله ، وصبر من الداعية حتى إذا اصطدمت دعوته بعقول متحجرة ، وأنفس مغلقة حق للداعية بعد ذلك أن يغير من نهجه ، فيختار المفارقة ، والانتقال إلى موضع آخر يجد فيه أنصاراً للحق ليسلك معهم طريقه إلى الله . وأقرب مثال على ذلك قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع قومه عامة ومع أبيه بشكل خاص . فقد بدأ بدعوة أبيه إلى الإيمان با لله وحده ، ونبذ ما سواه من الآلهة ، مذكراً إياه سوء العاقبة ، ومتسائلا عن جدوى خضوعه ، وطاعته لآلهة لا تسمع ، ولا تبصر ،فهي بالتالي لا تغني عنه شيئا ، ولا تحقق له مطلبا ولا غاية . ثم دعاه إلى اتباعه بعد أن جاءه من الله – الإله الحق – علم يقيني خصه به دون أبيه وقومه ، يكون سببا في هدايته ، نهجا سويا ، وحذره من اتخاذ الشيطان – الذي عصى الرحمن وخرج عن طاعته – معبودا وهاديا له ، ووليا يتولى أمر قيادته إلى ما يسخط الرحمن . ومن كان كذلك فإنه موعود عذابا يوم القيامة . ولكن أباه ، وقد استحوذ عليه الشيطان ، رفض دعوة الخير ، وامتثل للضلال والباطل ، وأصر على ترسيخ مفهوم الشرك في نفسه ، مهددا ومتوعدا ابنه إبراهيم عليه السلام بالرجم أو الطرد من مجتمعه .

وتحت تأثير البنوة الصادقة وعد إبراهيم أباه بالاستغفار له عند ربه ، وأكد له ولقومه عزمه على مفارقتهم ، وترك معاشرتهم ، ونبذ دعوتهم من دون الله والهجران لهم والانفراد عنهم ، فليس شيء مثل الإيمان وحده حق ، وليس شيء مثل الإشراك به باطل .

قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدّيقا نبيّا ، إذ قال لأبيه يا أَبتِ لِمَ تَعبد مالا يَسمع ولا يُبصر ولا يُغني عنك شيئاً ، يا أبت إنّي قد جاءني من العِلْم ما لم يأتك فاتّبعني أهْدِك صراطا سويّا . يا أبت لا تَعبد الشّيطانَ إن الشّيطان كان للرّحمٰن عصيّا . يا أَبت إنّي أخاف أن يَمسّك عذاب من الرّحمٰن فتكون للشّيطان وليّا . قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنّك واهجرني مليّا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنّه كان بي حفيّا . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربّي شقيّا . فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاّ جعلنا نبيّا . ووهبنا لهم من رّحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليّا ﴾ مريم ٤١ - ٥٠ .

فعزلته عليه السلام لأبيه وقومه ليست بمعنى الانزواء ، أو الانطواء على نفسه ، أو الهروب من مواجهة الموقف معهم ، بل هي احتجاج ورفض لما هم عليه من معتقد فاسد يخالف نص وروح رسالته التي بعث بها من ربه ، ويعارضها ، فلم يكن عنده من خيار حينئذ سوى مفارقتهم ، وإعلان مخالفتهم ، وإن كان يشعر نحو أبيه بعاطفة البنوة . غير أن مهمته التي اختاره الله لها في الحياة الدنيا لا تقبل الازدواجية ، ولا التسويف ، ولا التاجيل ، أو المداهنة ، لا

في القول ولا في العمل . فمبدأ التوحيد يقوم على إفراد الله بالعبادة ، ومبدأ الشرك يقوم على تعدد الآلهة .

ونلاحظ أن ( آزر ) قد لمح ، لاستحالة مثل هذا التوفيق بين المعتقدين (قال أراغِبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم .. ) أي لا تريدها ولا تقبل بها ؟ وكان آزر يهدد ابنه بالرجم ما لم ينته عن مخالفته إياهم ، وهي عقوبة شديدة لا يستحقها سوى من أتى بجرم عظيم . غير أنه غلب جانب الأبوة ، وطلب من ابنه أن يقاطعه زمنا طويلا لعل مرور الوقت ، وما سيلقاه ابنه في وحدته من صعوبات جمة ، ما يؤثر على فكره وسلوكه ، ويدفعه إلى ترك دعوته ، أو الاكتفاء بترك منابذتهم ، وتسفيه آلهتهم . ولكن هيهات أن يقع مثل هذا من نبي ، من أولي العزم ، كإبراهيم عليه السلام .

وفي موقف آخر – مغاير – من نظم القرآن الكريم يطالعنا نوح عليه السلام وفي جانبه الحق يدعو ابنه وقومه إلى النجاة من سخط الله وغضبه بترك الإشراك به وتوحيده بالعبادة ، وقد استمرت دعوته فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما . غير أن جهوده في دعوته ذهبت سدى إلا في بعضهم ممن آمن به ، فآذن الله المشركين بالعذاب ، طوفانا جارفا محق الله به الأخضر واليابس ، ولم ينج إلا من كان على ظهر السفينة ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه وكان في معزل ﴾ عنه وعن السفينة ومن فيها منقطعا عنهم ﴿ يابنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ نصيحة أب مخلص صادق العقيدة ، والإيمان لابنه الذي كابر وثابر على الكفر والضلال ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ ولكن الأب بما أعلمه الله ، ويقينه بقدرة الله قال له ﴿ لا

عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم . وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ هود /٤٣ .

فعزلة ابن نوح جاءت بمعنى لزوم المكان والثبات فيه ، والانقطاع عن مجتمع أبيه ومن آمن معه الذي تمثل في حينه بمن كان في السفينة وما حملت .

وموسى عليه السلام أمر دعوته لا يحتمل المداهنة ، أو المجاملة ، أو الحلول الوسط ، بعد أن بسط لفرعون الأدلة ، والآيات على وحدانية الله ، وبطلان ما ادعاه فرعون من ألوهية . ولكن فرعون ﴿ علا في الأرض ، وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، إنه كان من المفسدين ﴾ القصص /٤ ، وبقي المؤمنون برسالة موسى يخافون فرعون وبطشه ، حتى أمر الله موسى بمفارقة المشركين والكفرة ، إلى موضع آخر يعبدون الله وحده فيه . وهكذا الداعية إلى الخير ، إذا اصطدم بتعنت الغاوين ، وجبروت الظالمين ، وخشي على نفسه وأتباعه الفتنة ، أن يفارقهم إلى مكان يأمن فيه ، كما فعل نبينا صلى الله عليه وسلم عندما اشتد أذى قريش للمؤمنين بمكة في بداية البعثة النبوية ، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة قائلاً : " إن فيها ملكا لا يظلم أحدا " (٢٤) رغم كونه على دين النصرانية ، لكن سمة العدل والإنصاف كانت تعرف عنه ، وكان ذلك من أجل أن يفروا بدينهم من الفتنة .

فالاستسلام للظلم بدون مقاومة ، والبقاء في أرض يخشى على دينه الفتن ، وعلى نفسه الاضطهاد ، والمهانة مع القدرة على الانتقال من مكان آخر آمن ، من الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة ، كما بين الله ذلك في

القرآن ﴿ إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ النساء / ٩٧ .

واصحاب الكهف ورد ذكر الاعتزال فيما قصه القرآن من شأنهم ، بمعنى المفارقة والتنحي والانقطاع ، والاختفاء . فهم فتية خالفوا قومهم المشركين ، وآمنوا بالله وحده لا شريك له ، مما أثار عليهم ضغينة الملك ، وهم بالبطش بهم ، إن لم يرتدوا ، ويدينوا بدين قومهم . فلما أحسوا بذلك ، اتفقوا على الفرار بدينهم من الفتن ، فخرجوا إلى ضاحية المدينة حيث كهف يصلح أن يكون لهم ملاذا ، وستروا عن أعين الملك المتجبر ، يختفون ، وينقطعون عن المجتمع حتى تهدأ ثائرة الملك ، وتتبدل الأحوال .

ولكن الله – جل وعلا – جعل من ملاذهم هذا ، وإنقطاعهم فيه ، دليلا على عظيم قدرته ، فمكث الفتية نائمين ﴿ ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ ثم بعثهم الله ، حين تغير المجتمع برمته ، وأصبح يدين بدين أولئك الفتية ، عندما بدأوا سباتهم العميق في الكهف . وهذه الطريقة ، وهي الانعزال عن المجتمع ، تصلح لمستضعف لا يؤمن بمبادئ مجتمعه كلها ، أو بعضها ، ولا يملك من القوة ما يمكنه من الدفاع عن نفسه أو التأثير على الآخرين ، فيختفي في مكان من أعين الناس ، فترة من الزمن متربصا فرصة للظهور مرة أخرى في مجتمعه ، وقد وجد من يناصره ، ويقف معه ، وقد فارق أولئك الفتية مجتمعهم، وتنحوا عن قومهم جانبا ، واختفوا في الكهف المهجور ، فانقطعوا بذلك عن كل ما يمكن أن يؤثر على معتقدهم ، أو يضطرهم إلى الرضوخ إلى الأمر

الواقع. فانقطاعهم عن مجتمعهم كان انقطاعا تاما ، وشاملا ، هـو أشبه بالعزلـة الدينية ، الثقافية . اقرأ إن شـئت قـول الله تعـالى : ﴿ أم حسـبت أن أصحـاب الكَهف والرّقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ولا يشرك في حكمـه أحدا ﴾ الكهف /٩-٢٦ .

فعزلة أصحاب الكهف والرقيم صاحبها قطع جميع الصلات بينهم وبـين قومهـم المشـركين ، والتخفـي عنهـم والاعتكـاف في الكهـف ، لطلـب الخلـوة والانزواء فيه . فقد فضلوا ذلك السلوك ليس عـن رغبـة ، بـل أسـلوبا للنجـاة والفرار بدينهم ومعتقدهم من مجتمـع بأسـره يخـالفهم فيهمـا ، ولا طاقـة لهـم في إرغامهم على اتباعهم ، ولا يستطيعون حماية أنفسهم منهم .

وجـاء الاعـتزال في القـرآن الكريـم بمعنـى المنـع والحيلولـة دون تحقيـق الإرادة ، وسلب القدرة على إتمام العمل بقوة السلطان ، فيقال : هو معـزول . ولا يكون ذلك برغبته ، وإراداته في الغالب .

قال تعالى نافيا صلة الشياطين بنزول الوحي ، ومن ثـم تأثـيرهم عليـه : ﴿وما تنزّلت به الشّياطين . وما ينبغي لهم ، وما يستطيعون ، إنّهـم عـن السّـمع لمعزولون ﴾ . الشعراء ٢١٠-٢١٢ فالضمير في قوله تعالى : ﴿ وما تنزّلت بـه الشياطين ﴾ يرجع إلى الوحي من الله إلى من شاء من خلقه . أو خاص بما أوحي إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بواسـطة جبريل عليـه السـلام مـن القـرآن وغيره . فقد كان مما أثاره المشركون ، وإخوانهم المنافقون في بدء البعثة النبوية، وما بعدها : أن محمدا يتلقى القرآن من الشياطين . وقـد صـوروه – صلـى الله

عليه وسلم – كاهنا ، أو ساحرا يستمد من الشياطين أقواله ، وتعاليمه التي يبلغها للناس .

وقد كانت للشياطين القدرة على استراق السمع بالتطاول إلى السماء ، يتسلق بعضهم على بعض ، فربما علموا من خبر السماء بعض ما سيكون ، فيخبرون به أنصارهم ، وأتباعهم من الإنس الذين يدعون علم الغيب ، فيضيفون إلى ذلك الخبر الصادق كثيراً من الأخبار الملفقة الكاذبة ، فيتوهم السامع – غير المؤمن – أن هذا الكاهن أو الساحر القدرة على معرفة الغيب ، وأسراره .

ومحمد – صلى الله عليه وسلم – في نظرهم يتقول أشياء يتعلق جلها بما غاب عنهم . غير أن تلك القدرة على استراق السمع لم تعد ممكنة بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ففي حديث طويل عن ابن عباس يرفعه قوله : (ولقد حِيل بين الشّياطين ، وبين خَبر السماء ) (٢٥) ، فقد أوكل الله بالشياطين شهبا ترميهم، وتهد جمعهم الموصل إلى السماء . قال تعالى ﴿ ولقد جعلنا في السّماء بُروجا وزيّناها للنّاظرين ، وحفظناها من كلّ شيطان رّجيم ، إلا من استرق السّمع فأتبعه شهاب مّبين ﴾ الحجر /١٦–١٨ .

وقال تعالى حكاية عن الجن : ﴿ وأنّا لمسنا السّماء فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشُهبا ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً ﴾ الجن /٨–٩.

وقد يصدق هذا المعنى من العزلة على المحتجزين عقوبة تأديبية لمخالفتهم شرائع مجتمعهم ، وقيامهم بما يهدد أمنه وسلامته . أو من كان ذا خلق سيء يتأذى منه أهله ، وجيرانه أو من كان مصابا بمرض معد ، فإن لولي الأمر الحق

في منعه من الاختلاط بغيره ، وجعله معزولا في مكان خاص حتى ينظر في أمره، ويتقرر أمر علاج حالته . فهؤلاء وغيرهم لا يميلون إلى الاعـتزال بطبعهـم ، بـل يرغمون عليه إرغاما كوسيلة لترويضهم .

وجاءت كلمة الاعتزال – أيضا – في القرآن الكريم بمعنى تـرك شـيء لقصد الابتعاد ، والمجانبة المؤقتة بسبب طارئ ، كان قبله مباحاً ، وتعـود إباحتـه بعد زوال السبب كما في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قـل هـو أذى ، فاعتزلوا النّساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهـرن فـإذا تطهّـرن فـأتوهن مـن حيث أمركم الله ، إنّ الله يحبّ التّوابين ويحب المتطهّرين ﴾ البقرة /٢٢٢.

فالمحيض مصدر ميمي بمعنى الحيض ، وقيـل : زمانه ، وقيـل : مكانه ، وهو الدم الذي يسيل من قعر الرحم للمـرأة في خـلال كـل شـهر مـن الزمـن ، ليتخلص الرحم من البويضة غير الملقحة . وهو علامة بلوغها وبداية تكليفهـا . والسؤال عنـه في الآيـة سـؤال عـن ماهيتـه ، وعـن حكـم وطء الرجـل زوجتـه المتلبسة به . فعـن الأول أجـاب تعـالى : بأنـه ( أذى ) أي : مـستقذر ، مكـروه يضر بالمرأة إذا احتبـس فيهـا ، ويضـر بـالرجل إذا أولج فيـه . ويعـتري المرأة في حال تلبسها به حالة من الخمول والآلام والعـزوف عـن المعاشـرة ، ولـه رائحـة كريهة متميزة يستقذر الرجل السوي معها مباشرتها ، فيعتزل من المرأة موضعـه ولا يتعدى ذلك إلى بقية بدنها . وعلى الثاني أجاب بأن على المسلم تجنب وطء زوجته عند حيضها ، وأباح لـه التمتـع بهـا فيمـا دون ذلـك ، قـالت عائشـة : (كانت احدانا – إذا كانت حائضاً – فأراد الرسول صلـى الله عليـه وسـلم أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها ) (٢٦) ، وذلـك خلافـا لمـا

كان سائدا في بعض الأمم السابقة ، فقد كان منهم من يحرم على نفسه مجالستها ومواكلتها حتى تطهر . وكان منهم من يخرجها من البيت إذا حاضت ، ويحرم الحديث معها وملامستها ، قال أنس : إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية ﴿ يسألونك عن المحيض ﴾ فقال : ( اصنعوا كل شيء إلا النكاح ) .

وكان منهم من لا يعبأ بالحيض فيستمر معه في إصابة موضعه من أهله . إذا فالاعتزال في هذه الآية جاء بمعنى الترك المؤقت لفعل شيء مباح بتجنبه ، والأخذ بأسباب الحيطة حوله دفعا لمخالفة أمر الشارع فيه ، مدة وجود العلة المانعة وهي دم الحيض أو النفاس . وقد شرع لنا من الدين تجنب إتيان موضع الحيض من نسائنا حال تلبسهن به ، وأباح ما دون ذلك من طرق ووسائل للتمتع بهن ، وهو داخل في مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم ( اصنعوا كل شيء إلا النكاح ) . ويقال لما نزلت : ( فاعتزلوا النساء في المحيض ) اعتزل المسلمون النساء في أيام الحيض ، وأخرجوهن من البيوت ، فقدم أناس من الأعراب وقالوا : يا رسول الله ، البرد شديد وقد اعتزلنا النساء ، وليس كلنا يجد سعة لذلك . فقال لهم : ( إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن ، ولم يأمركم أن تخرجوهن من البيوت كما تفعل الأعاجم ) (٢٨) وجاء الاعتزال في القرآن بمعنى التنحي ، وأخذ جانب الحياد بين فئتين مختلفتين لا سبيل إلى مرضاة إحداهما إلا بإغضاب الأخرى ، حتى لا يكون الأمر نفاقا . فمن صانع في أمر يرى أنه باطل، فقد أودع نفسه وحاله القلق المستمر ، إذ لا سبيل إلى تجزئة الحق ، ولا حق إلا مع وجود الباطل ، فبضدها تتميز الأشياء قال تعالى ﴿ فما لكم ﴾ أيها المسلمون في شان ( المنافقين ) انقسمتم إلى ﴿ فئتين ﴾ فئة تقول :

اقتلوهم فإنهم منافقون ، وأخرى تقول : اعفوا عنهم فإنهم تكلموا بالإسلام ﴿ والله أركسهم بما كسبوا ﴾ من أعمال سيئة بعودتهم إلى الكفر ﴿ أتريدون ﴾ أيها المسلمون ﴿ أن تهدوا من أضلّ الله ﴾ وقد علمتم ﴿ ومن يُضلل الله ﴾ عن الهدى ﴿ فلن تجد له سبيلا ﴾ يقوده إلى طريق الحق .﴿ ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتّخذوا منهم أولياء ، حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ عن النفاق والكفر إلى الطاعة والإيمان بالله ورسوله ﴿ فإن تولّوا ﴾ بأن أعرضوا ﴿ فخُذوهم ﴾ أسارى ﴿ واقتلوهم حيث وجدّتموهم ولا تتخذوا منهم وليّاً ولا نصيراً . إلا الذين يَصِلُون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو جاءوكم حَصِرت صُدورُهم أن يقاتلوكم أو يُقاتلوا قومَهم ولو شاء الله لسلّطهم عليكم فلقَاتلوكم ، فإن اعتزلوكم فلم يُقاتلوكم وألْقوا إليكم السَّلَم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ النساء ٨٩-٩٠ .

فتنحي المنافقين ، واتخاذهم جانب الحياد في الصراع بين المسلمين والمشركين ، أفاد المسلمين في التفرغ لقتال الكافرين ، وأمنوا مكر المنافقين بينهم . فهو اعتزال مؤقت يمكن أن نسميه إجراء وقائياً ، أملاه ظرف معين ، واقتضته مصلحة مشتركة . وقد أخبر سبحانه المؤمنين في سياق الآيات بأنكم ﴿ ستجدون آخرين ﴾ من فئة المنافقين ﴿ يُريدون أن يأمَنُوكم ويأمنوا قومَهم ﴾ على أنفسهم من القتال والانتقام من الفريقين ، وكان من شأنهم ﴿ كلما ردوا إلى الفتنة ﴾ بأن دعاهم المشركون إلى عدم الإيمان والإسلام ﴿ أركسوا فيها﴾ عادوا إليها برجوعهم إلى الشرك ، ﴿ فإن لم يعتزلوكم ﴾ عند نشوب القتال بينكم وبين المشركين ﴿ ويلقوا إليكم السلم ﴾ من المهادنة والمصالحة ﴿ ويكفوا أيديهم ﴾ عن مشاركة المشركين في قتالكم ، بأن يكونوا طابوراً خامسا ،

﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا﴾ النساء /٩١ . فهذا الصنف من المنافقين تربطكم بهم عهود ، ولا مواثيق ، بل عليهم أن يتنحوا عنكم جانبا عند قتالكم المشركين من قومهم ، وأن يعلنوا لكم الحياد بمصالحتكم على كف أيديهم عنكم عند القتال . فإن لم يتحقق ذلك منهم ، بإلقاء السلم إليكم ، وكف أيديهم عنكم ، فاتخذوهم في حسابكم أعداء بالرغم من دعواهم الإسلام – مهدوري الدم ، والكرامة ، يقتلون أينما وجدوا.

قال ابن العربي : دليل الخطاب في هذه الآية يقتضي أن من اعتزل ، وألقى السلم لم يقاتل " (٢٩) .

## المبحث الثاني : مرادفات العزلة من القرآن

وفي معنى العزلة وردت في القرآن الكريم كلمات لها مدلول العزلة بشكل أو بآخر : كالانتباذ ، والانفراد ، والخلوة ، والاختفاء ، والوحدة ، والاعتكاف ، والتواري ، والانقطاع ، والهجران ، والاحتجاب ، والاكتنان ، ، ولزوم البيت أو المكان ، والرهبانية . قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ مريم /١٦ بمعنى : تنحت بنفسها ناحية شرقية خارج مسكن أهلها ، محتجبة بذلك عنهم متخذة لنفسها مكانا منعزلا ، وما حدث لها بعد ذلك يبين بجلاء سبب تلك العزلة . فهي لا تملك لما أصابها من حمل وولادة بطريقة غير مألوفة أي حجة تسوغ بها موقفها عند أهلها ، وقومها إلا اللجوء إلى العزلة ثم الصمت ، وقد أوكلت أمرها إلى ربها الذي أوحى لها أن تشير إلى مولودها فكانت المعجزة بأن نطق المولود وأظهر معجزة الله فيه ،

وفي والدته قائلاً ﴿ إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً ... ﴾ الآيات مريم ٣٠-٣٣ .

فالاعتزال هنا جاء لضرورة اقتضاها الموقف ، وتوطئة لأحداث تجري فصولها تباعا ، وتتطلب استعدادا نفسيا ، وفكريا من المعتزل للذين اعتزلهم عند المواجهة ، ومقارعة الحجة بالحجة .

والفرد ، والتفرد والإنفراد : وحدة . ورجل وحيد لا أحد معه يؤنسه، قال تعالى ﴿ وزكريا إذ نادى ربّه ربّ لا تذرني فَرْداً وأنتَ خَيرُ الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ، وأصلَحنا له زَوجَه إنّهم كانوا يُسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خَاشِعين ﴾ الأنبياء ٨٩-٩٠ . والله تفرد بالأمر دون غيره ، فهو الفرد الصمد لا نظير له . وقال ابن الأعرابي : فرد الرجل إذا تفقه ، واعتزل الناس ، وخلال بمراعاة الأمر والنهي (٣٠) .

فمن مؤشرات القبول للاعتزال عند الشرعيين أن يكون المعتزل قد تفقه في أمور دينه الأساسية حتى لا يحتاج غيره في معرفتها ، ويأتي بها على وجهها الصحيح في عزلته . فهو إذا خلا بنفسه فقد انفرد بها عن الناس. وإذا خلا بغيره خلوة انفرد به .

والمنافقون يتكيفون مع غيرهم وفق مصالحهم ، وأهوائهم ، فهم مع الجميع بما يرضي الجميع قال تعالى : ﴿ وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خَلَوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزءون ﴾ البقرة /١٤ .

والخلوة يحتاجها أكثر الناس ولو مرة في حياتهم ، فإذا خلا الإنسان بنفسه استطاع محاسبتها ، ومناقشتها ، ومن ثم استطاع تقويمها التقويم المناسب

ليظهر أمام مجتمعه بالمظهر المناسب الذي يرتكز في أخلاقه ومعاملاته على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف . وما ترك النفس على سجيتها ، إلا نوع من التفريط في حقها ، فالنفس أمارة بالسوء . وتزداد حاجة الإنسان إلى الخلوة كلما زادت حاجته إلى الاستقامة والظهور بمظهر الخير ، والصلاح في مجتمعه .

وللاعتكاف في القرآن ذكر كسلوك للمسلم يمارسه عند حاجته إلى شيء من الصفاء الذهني والنفسي ، مبتعدا بنفسه عن مشاغل الحياة المادية ، ومنقطعا بها إلى تأمل ملكوت الله ، وتدبر آياته في الكون الواسع وفي نفسه . فكأنه بذلك قد حبس نفسه عما اعتادت من التصرفات ، والملذات ولازم المسجد لكونه مكانا مناسبا لحضور الجمع والجماعات . قال تعالى : ﴿ إنّ الذين كفروا ويَصدُّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للنّاس سواء العاكفُ فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ الحج/٢٥

فمسجد مكة المكرمة كغيره تتحقق فيه المساواة بين المسلمين جميعا ، وقد شرع فيه وفي غيره من المساجد الانقطاع إلى العبادة والتفرغ لها ، ومن نذر الاعتكاف وجب عليه الوفاء به ، ولزمه مدة الاعتكاف عدم مغادرة المكان إلا لضرورة يعود بعدها . وعدم مباشرة النساء قال تعالى : ﴿ ... ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ البقرة /١٨٧ ، وقد كان المشركون ، كما وصفهم الله تعالى ﴿ يعكفون على أصنام لهم ) الأعراف /١٣٨ مقيمين حولها، مقبلين عليها، ومواظبين ، لا يصرفون عنها وجوههم . فذلك من ملازمة الشيء ،

ملازمة تامة ، كاملة ، بدافع عقدي راسخ ، أو لانجاز عمل فكـري ، أو يـدوي في وقت قياسي ، عكف عليه وانقطع عما سواه ، حتى انجازه .

ويأتي الاختفاء ، والتـواري ، والانـزواء ، والاكتنـان بمدلـول متقـارب للتعبير عن التستر . فمن اختفى فقد توارى ، ومن تـوارى فقـد انـزوى ، ومـن انزوى فقد اكتن . فالذي يختفي عن أعين الناس يكون قد ستر نفسه في بيته ، أو في مكان من الأرض عن غيره . ومن هم بأمر بينه وبين نفسه فقـد اخفـى وسـتر ذلك الأمر عن غيره من مخلوقات الله ، قـال تعـالى : ﴿ وإن تجهـر بـالقول فإنـه يعلم السر وأخفى ﴾ طه /٧ . فالسر هو الكلام الخفي ، وما تخفيه نفوس البشر بعضهم عن بعض ، والأخفى ما لا يمكن أن يعلمه البشر من معلومات الله جـل وعلا (٣١) .

والتواري تستر واختفاء ، قال تعال واصفا حال الجـاهلي عندمـا يبشر بمولودة أنثى : ﴿ يَتوارَى من القَوم من سُوء ما بُشّر به ، أيمسـكه علـى هُـون أم يدسّه في التّراب ألا ساء ما يَحكُمون ﴾ النحل /٥٩ . فالخجل من إنجاب الأنثى، شعور بالنقص ، وخوف من المستقبل ، وهي عوامـل دفعـت مثـل ذاك الجـاهلي إلى التواري عن أعين الناس ، وأصبح في حيرة من أمره ، أيبقـى علـى ابنتـه مـن منطلـق الأبـوة ، والشـفقة ، فيسـتحق مـن جهـلاء قومـه السُّبة ، والهـوان ؟ أم يعمـدإلى إخمـاد أنفاسـها تحـت الـتراب ، لـيرضي بذلـك وهمـه ، وسـوء ظنـه ، ويهرب من مسئولية تربيتها ، ورعايتها ؟ فمن ضعف أمام اتخاذ موقف محدد بين أمرين متناقضين في نفسه ، كان التواري ، والتستر ، والاختفاء سمـة مـن سمـات سلوكه .

وجاء معنى الهجر في القرآن الكريم على معان مختلفة ، وإن كان في مدلوله العام ينص على نوع من التباعد ، والنأي ، والانقطاع عما كان يعايشه الإنسان ، تختلف درجته باختلاف الدوافع والأسباب التي دعت إليه . وقد أمر الله رسوله بهجر الرجز من عبادة الأوثان ، وغيرها من الذنوب . وأن يثبت عل هجره لها لأنه كان بريئا (٣٢) . قال تعالى : ﴿ يا أيّها المدّثر . قُم فأنذر . وربّك فكبّر . وثيابك فطهّر . والرّجز فاهجر ... ﴾ المدثر ١-٤ .

وفي معرض إرشاده – صلى الله عليه وسلم – لأمثل الطرق في معالجة قومه ، والصبر على سوء أفعالهم من شرك وغيره ، بين تعالى لنبيه أسلوبا بليغا يجعله يسمع قومه ما أوحى الله إليه ، وهو بعيد عنهم لا يخالطهم شركهم ، ليظهر لهم عدم الرضى بما يفعلون ، ويشعرهم بصدق دعوته إليهم ، فيرونه قريبا منهم يتلو القرآن ويقيم الصلاة ، ويرون من أخلاقه وسيرته ما يحبون أن يحاكوه فيه ، فيبقى في نظرهم – رغم مخالفتهم له – مثالا حيا للقيم الإنسانية السامية ، والأخلاق العالية ، مما ينعكس عليهم إيجاباً في قبولهم لدعوته ، قال تعالى : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلاً ﴾ المزمل /١٠ فالهجر الجميل هو ما يشعر بعدم الرضى من الهاجر للمهجورين مع استمرار نوع من الصلة بينهما للابقاء على نوع من الحوار .

وفيما يتعلق بحكم شرعي يأتي بالهجر بوصفه إجراءً مؤقتا يجعل لصاحب الحاجة الحق في البعد والانقطاع عن معاشرة زوجه ليؤدبها عن ترفعها عليه ، وليشعرها أهمية الوفاق بينهما ، والاندماج ، قال تعالى : ﴿ الرّجال قوّامون على النّساء بما فضّل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ،

فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللآتي تخافون نُشوزهن فعِظوهن واهجُروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً ، إن الله كان عليّا كبيراً ﴾ النساء /٣٤ .

وقد أطلق الله على الذين اهتدوا من أهل مكة ، وآمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم في بدايتها ، وأسقطوا حقهم في أكثر أموالهم بمكة ، وآثروا فراق ديارهم ، ومن يحبون من أهلهم وأقاربهم ، ونجوا بدينهم عن الفتنة، وانتقلوا إلى يثرب ، أرضا لم يطأها أكثرهم من قبل ، تختلف تضاريسها ، ومجتمعها ، وعاداتها عما ألفوه في مكة ، أطلق عليهم اسم المهاجرين ، قال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ التوبة /١٠٠ . فبعد أن ابتعدوا بقلوبهم وأحاسيسهم عن المشكرين نأوا بعد ذلك بأجسادهم إلى موطن غير موطنهم ، فقطعوا بذلك صلتهم بالمشركين في مكة ، مشكلين نواة الأمة الإسلامية مع من سبقهم من أهل المدينة الذين عرفوا في الإسلام بالأنصار ، لمناصرتهم نبيه صلى الله عليه وسلم في فجر دعوته . وبعد فتح مكة على يد المسلمين قال صلى الله عليه وسلم : ( لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ) (٣٣) ، فانقطعت الهجرة بانقطاع أسبابها . وقد عرفها العلماء بأنها الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ، إذا لم يستطع المسلم القيام بما شرع الله له ، وفرض عليه من أمور العبادة في بلده ، فتكون بذلك مستمرة على مستوى الفرد أو الجماعات الصغيرة المضطهدة ، ويقع عبء حماية المسلمين المضطهدين على أمة الإسلام عامة ، بإعلان الجهاد وتحرير المسلمين . وليس أوضح في ذلك من منع المسلم

من هجر أخيه المسلم فوق ثلاثة أيام . فالأولى شرعت للإبقاء على مبدأ التوحيد في نفس المضطهدين، ولكي لا يضعف أمام جبروت الظالمين ، فيرتد عن دينه . والثانية حظرت للإبقاء على صلة الأخوة الإيمانية بين المسلمين ، ولكي لا تصدأ قلوبهما فيستمرئان القطيعة ، ويستنفدان المحبة فيهما .

وجاء طلب الابتعاد والنأي من أب لابنه حلا لما بينهما من تباين في الفكر والمعتقد ، وكان كل منهما يصر على موقفه ، ومسألة التعايش بينهما مستحيلة ، قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا إذ قال لأبيه يا أَبتِ لم تَعبد ما لا يَسمع ولا يُبصر ولا يُغني عنك شيئا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قال أراغب أنتَ عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنّك واهجرني مليًّا﴾ مريم ٤١–٤٦ . فجاء الابتعاد والنأي حلا وسطا يحفظ لكلا الطرفين كرامته ، ولا كرامة حقيقية لغير المؤمن .

## ومن مرادفات العزلة : الحجاب :

والحجاب ما يستر ، ويحجب الرؤيا من الناظرين إلى المحجوب ، فمن اتخذ لنفسه حجابا عن الآخرين أصبح في معزل عنهم بشخصه ، ولكن يمكن أن يشارك غيره الرأي والمشورة دون أن يراه أو يختلط به . ولما كان للمرأة وضعها الخاص من حيث تطلع الرجال إليها ، وما وضع الله في قلوب بعضهم لبعض من ميل فطري نحو الآخر ، منع الشارع رؤية الأجنبي لها ، أو التحدث إليها إلا من وراء ساتر ، قطعا لكيد الشيطان ، ومنعا لحيلة من حيله ليوقع المؤمن في شيء من المحظور عليه ، قال تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعا فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ... ﴾ الأحزاب /٥٣ . ومسألة حجاب

المرأة عند غير محارمها من المسائل التي تميز بها التشريع الإسلامي عن غيره ، إذ قد تحقق أن حاسة البصر من أهم ، وأقوى وسائل الإنسان لتصور حقيقة ما ينوي القيام به نحو غيره ، ويبعث من إرادته نحو تحقيق الهدف شكل الإصرار والتصميم ، وبالنظر يحقق الخطوة الأولى نحو هدفه لذلك نجد أن عظمة التشريع الإسلامي تكمن في دقة اختيار الألفاظ بحيث يأتي بالعبارة الجامعة المانعة ، فكلمة ﴿ لا تقربوا الزنا ﴾ الإسراء /٣٢ أبلغ وأشمل وأمنع من كلمة لا تزنوا ، فقد نهى عن كل ما يقرب إلى الزنا قبل الوقوع فيه ، وعلى رأس ذلك تأتي حاسة النظر في الأغلب العام .

وتأتي كلمة كنن ، والكن – بكسر الكاف وتشديد النون – وأكنان بمعنى السترة قال تعالى ممتنا على عباده : ﴿ وجعل لكم من الجبال أكنانا ﴾ النحل /٨١ ، فإذا احتجب الإنسان أو اكتن فقد توارى عن أعين الناس ، وأصبح له شأن يغنيه عنهم ، والأسباب لذلك تتلون بتلون نوع الإنسان وحاله.

ولزوم البيت أو المكان والاستقرار فيه ترك ما سواهما وذلك يدل على ثبات الإنسان ودوام وجوده فيه ، وأنه يقتصر في علاقته بمن في البيت أو المكان ، فقد يكون لمرض نفسي أوعضوي ، أو يكون عقابا فيسمى الإقامة الجبرية ، أو يكون لغرض التفرغ لعمل ما .

وقد أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، والخطاب لنساء المؤمنين أيضاً بلزوم بيوتهن ، والاستقرار فيها تجنبا لطمع مرضى القلوب فيهن ، ففي ذلك صيانة لهن واستجلاء لمكانتهن في المجتمع بما لهن من صفات عن غيرهن من النساء، وتوجب عليهن تبعات كبيرة نحو البشرية قال تعالى : ﴿ يا نساء النبي

لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴾ الأحزاب /٣٢-٣٤ .

والرهبانية ، والترهب : الانقطاع لغرض العبادة . وهي سلوك ابتدعه بعض أتباع عيسى بن مريم عليه السلام ، فهجروا ملذات الحياة المباحة ، وعطلوا سنة من سنن الله في الكون وهي سنة التزاوج ، ظنا منهم أن ذلك يقربهم إلى الطاعة ويبعدهم عن مجال المعصية . وقد عرف العباد منهم والقائمون على شئون الكنائس بالرهبان والقساوسة . وأصل الرهبانية من الرهبة – أي الخشية والخوف – ثم صار اسما لما فضل عن المقدار (٣٥) ، وأفرط فيه . قال تعالى : ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ، ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ الحديد /٢٧ . وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى ( أن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله ) (٣٦) .

فتبين أن الرهبانية تعني التفرغ والانقطاع لغرض ما ، فمارسها غير المسلمين فيما يخالف الفطرة السليمة ، ويصطدم مع الغرائز . ومارسها المسلمون في أمر يتطلب المرابطة ، ومواصلة التدريب ، ومراقبة العدو ، لصد

كيده ، ودحره وهم لا يحرمون على أنفسهم ما لذ ، وطاب إلا ما حرمه الله في القرآن ، أو على لسان نبيه ، صلى الله عليه وسلم في أثناء ذلك الانقطاع ، والتفرغ لغرض الجهاد في سبيل الله . وقد يكون بين الرهبانية والاعتكاف وجه شبه من ناحية الانقطاع ، والتفرغ للعبادة ، وترويض النفس على التقليل من طلب الملذات ، والصبر على تحقيق هدف المؤمن من إيمانه ، بالتقرب إلى خالقه بالدعاء ، والذكر . غير أن الرهبانية غلب على مفهومها عند أصحابها معنى القهر للنفس في إشباع بعض غرائزها ، كالغريزة الجنسية . فهم يرون الاقتران بالمرأة بهدف الزواج ، نوعاً من اللذة التي تصرف الراهب عن عبادته ، أو يقلل من فرص تقربه إلى ربه . ولكن عندما تطغى هذه الغريزة – كشأن الغرائز الرئيسة الأخرى – فإنهم يلجأون إلى إشباعها بطرق معوجة ، يعتريها الظلم للنفس ، وللآخرين . وهذا شأن الرهبان ، والقسس ما عاشوا ، زاعمين أن ذلك من شريعة عيسى عليه السلام . أما الاعتكاف فسنة للمسلمين ، ينقطع خلاله المسلم عما ألف من ملذات مباحة ، ويتفرغ لعبادة ربه ، بالإكثار من النوافل ، وتلاوة القرآن ، والدعاء ، مدة يحددها هو بنفسه ، يحق له بعدها العود إلى ما ألف من مباحات في حياته ، ومن ذلك معاشرة زوجه .

## الفصل الثالث

## مفهوم العزلة من السنة وآثار الصحابة ، والتابعين

### المبحث الأول

### مفهوم العزلة ومرادفاتها من السنة وآثار الصحابة والتابعين

وفي السنة ، كما في القرآن ، وردت كلمة ( العزلة ) بمعايير مختلفة : منها ما يتعلق بالسلوك العام للأمة الإسلامية ، وفق تشريع من الله ، كاعتزال النساء في المحيض ، واعتزال المعتكف لهن مدة اعتكافه . روى البخاري بسنده عن عائشة قولها (٣٧) :

" كانت إحدانا ، إذا كانت حائضا ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضها ثم يباشرها " . فهذا دليل من السنة على أن الرجل لا يتجنب من زوجه – وقت حيضها – إلا مكان الحيض منها ، وذلك خلاف ما كانت عليه الأمم السابقة للإسلام .

روى مسلم (٣٨) ، وأبو داود (٣٩) ، من حديث أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية ﴿ ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض .. ﴾ فقال : " اصنعوا كل شيء إلا النكاح " فأنكرت اليهود ذلك ، فجاء أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله ألا نجامعهن في الحيض ؟ – يعني خلافا لليهود – فلم يأذن في ذلك . وكذلك الرجل يتجنب معاشرة زوجته ، تأديبا لها بعد موعظتها إن خاف نشوزها ، أو أراد إصلاح ما

اعوج من سلوكها، قال تعالى : ﴿ واللاتي تخافون نُشوزهن فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ﴾ النساء /٣٤ .

والرسول صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه مدة شهر عندما أكثرن عليه السؤال ، وظهرت بينهن علامات الغيرة عليه ، وانفرد بنفسه – صلى الله عليه وسلم – في مشربة له . ولم يكن ذلك طلاقا كما توهم بعض المسلمين حينذاك (٤٠) .

والعاكفون في المساجد للتقرب إلى الله بالذكر ، والصلاة ، وتلاوة القرآن ، منعوا عن مباشرة النساء في أثناء ذلك في قوله تعالى ﴿ ... ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ البقرة /١٨٧ ، وقد كان لأحدنا الحق المطلق في التمتع بزوجه أنى شاء في قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انّى شئتم ... ﴾ البقرة (٢٢٢) ، مما يدل على أن تجنب الرجل امرأته كان بسبب دخوله في الاعتكاف ، كما هو الأمر للمحرم وقد دخل في النسك، فإن مباشرة النساء قبل إتمامه تفسده (*) . فالاعتزال فيما مضى جاء بمعنى المفارقة المؤقتة للشيء مع الإبقاء على أصول العلاقة ، وضوابطها بين الطرفين ، لتعود بعد زوال السبب بينهما طبيعية كما كانت .

ومما جاء في السنة من معان مختلفة للعزلة ما يتعلق بالسلوك الخاص من المؤمن أوله . فعلى الأول ما روى البخاري (٤١) في صحيحه من قول النبي صلى الله عليه وسلم : "يهلك الناس هذا الحي من قريش " قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : " لو أن الناس اعتزلوهم " .

(*) قبل التحلل الأول

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري (٤٢) : قوله : " لو أن الناس اعتزلوهم " محذوف الجواب ، وتقديره لكان أولى بهم . ويحتمل أن تكون (لو) للتمني ، فلا تحتاج إلى تقدير الجواب . وقال : والمراد باعتزالهم أن لا يداخلوهم " ولا يقاتلوا معهم ، ويفروا بدينهم من الفتن . قال : ويؤخذ من هذا الحديث استحباب هجران البلدة التي يقع فيها إظهار المعصية . أ.هـ

فجاءت العزلة بمعنى المفارقة ، والمقاطعة التامة الدائمة من المؤمن لأولئك النفر من قريش وأمثالهم ممن يتسببون في إهلاك الناس ، بما يرتكبون من معاصي ، أو يأتون من منكرات في القول أو العمل . فمفارقتهم جاءت موقفا حاسما قويا من بقية أفراد المؤمنين ، ورادعا مانعا من تفشي المعاصي والمنكرات بينهم ، وهكذا يحسن أن يكون موقف المؤمنين حيال كل فرد أو جماعة تخرج عن منهج السلف الصالح في عبادتها ، وسلوكها ، وتأتي بما لم يأت به الأولون.

وروى البخاري – أيضا – (٤٣) في صحيحه عن حذيفة بن اليمان ، وقد حذره الرسول صلى الله عليه وسلم فتنة قوم يهدون بغير هدية قال : قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : " فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك " .

وهنا يتبين موقف الفرد من الجماعة ، والقلة مع الكثرة فرارا بدينه من الفتن ، وقد ضعف سلطانه ، وقلت حيلته ، وقد صوره الحديث كالجريح من الوحوش عندما يقيده الجرح ، ويقعد به الضعف ، فإنه ينشب أنيابه في أصل شجرة أو غيرها ، يستعين بذلك على استفراغ شدة ألمه ، ويقوي على مواجهة

الموت . والفتنة كالنار كلما كثر وقودها ازداد سعيرها . وليس يحد من انتشار الفتنة سوى تجنب دواعيها ، والأخذ بأسباب تلافيها ، بالابتعاد عن مواطنها . وما التصدي لها – تأييدا ، أو مناوأة – الا وقودا يزيد في اشتعالها ، وانتشارها.

وعلى الثاني ما رواه أبو داود (٤٤) ، والترمذي (٤٥) بسنديهما إلى أبي ثعلبة الخشني أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ﴿ عليكُم أنفسكم لا يضُرّكم من ضلّ إذا اهتديتم ... ﴾ المائدة /١٠٥ فقال : ﴿ بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، ودع عنك العوام " .

فهذا الحديث وأمثاله أعطى للمؤمن سلما تشريعيا يتدرج من خلاله في مجال علاقته بإخوانه المؤمنين ، ولم يأذن له بمفارقة غيره ، إلا عند طغيان الشعور بحب الدنيا ، واستبداد الهوى والنفس والشيطان بالمسلم ، تسيره سيرا حثيثا في أغراضها ، فلم يعد ينفع معه نصح ، ولا تجدي معه مخالطة .

فدلّ – صلى الله عليه وسلم – على الاقتصار في جهاده على نفسه ، يحفظ عليها إيمانها ، ويرسخ تعلقها بربها خوفا ، ورجاء . فإن تكوّن في المجتمع عدد من هؤلاء فإنهم يشكلون نواة الأمة التي على الحق . ومثله ما رواه البخاري في صحيحه بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم ، يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن " (٤٦) .

هذا السلوك من الإنسان المسلم في ذلك الزمان ، إنما هو إجراء وقائي لحماية نفسه من أن تضعف ، وتختل فيها ضوابط الاستقامة ، والقدرة على قهر النفس في مجال الطاعة . وهو معنّى قبل ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاولة الإصلاح ما استطاع ، خاصة إذا كان من الذين يملكون التأثير على غيرهم قولا وعملا .

## المبحث الثاني : مرادفات العزلة

منها الحجاب ، والأصل فيه أن جسم حائل بين جسدين (٤٧) . فمن اتخذ لنفسه سترا عن الآخرين ، فقد احتجب عنهم . فعندما تستتر المرأة عن الأجنبي بخمار أو نحوه ، فإن دواعي النظر إليها تنعدم أو تقل كثيرا ، فيتحقق الفصل العملي بين النوعين ، فتنحسر – أو تكاد – موجة الطغيان على العقل من الدوافع الغريزية ، وحينئذ يتحقق قول الله عز وجل ﴿ ... ولا تقربوا الزّنا...﴾ الآية الإسراء /٣٢

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يا رسول الله ، لو أمرت نساءك أن يتحجبن ، فإنه يكلّمهن البرّ ، والفاجر ، فنزلت آية الحجاب (٤٨) ، وقريب من هذا المعنى يأتي معنى الاختفاء ، والتواري ، والخلوة ، ولزوم البيت أو المكان ، والانزواء .

قال ابن عباس ، نزل قوله تعالى : ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تُخافت بها﴾ الإسراء /١١٠ ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة (٤٩) . وفي رواية متوار بمكة (٥٠) ووصفته عائشة قبل بعثته – صلى الله عليه وسلم – بقولها : وحبب إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو (٥١) .

وللبخاري ، ثم حبب إليه الخلاء (٥٢) فاختفـاؤه – صلى الله عليه وسـلم – بمكة المكرمة كان في بدء بعثته وأول الإسلام ، عندما كان للمشركين سلطان وسيطرة ، وكان المسلمون أفرادا مستضعفين يخشون أن يتخطفهم الناس ، فتوارى – صلى الله عليه وسلم – بالمؤمنين عن أعين المشركين لكي لا يلحقوا بهم الأذى .

والخلوة ساعدته – صلى الله عليه وسلم – ومكنته ، قبل نزول الوحي إليه ، من تأمل ملكوت الله ، والتفكر في عظمته جل وعلا ، فكان يقضي الليالي ذوات العدد في غار حراء ، مستقبلا البيت الحرام ، قد همّه أمر قومه عبدة الأوثان ، وقد قوضوا دين أبيه إبراهيم عليه السلام ، وهو لا يملك الوسيلة لهدايتهم ، ولا الطريقة لدعوتهم ، وقد وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ وكذلك أَوحينا إليكَ رُوحاً من أمرنا ما كنت تَدْرِي ما الكتابُ ولا الإيمانُ ولكن جعلناهُ نُوراً نَهْدي به من نَشَاء من عِبادنا وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ الشورى /٥٢ ، وكذلك شأن من همه أمر من الأمور ، وبين يديه من الحلول ما يحتاج معه إلى تصنيف ، وتأليف ، واختيار ، فيخلو بنفسه بعيدا عن دواعي الضوضاء ، ليسترسل في تفكيره العميق ، وتدبره الشامل .

ولزوم البيت أو المكان لا يبعد عن معنى الخلوة في المدلول والهدف ، غير أنه يتأكد ويصبح ضروريا للفرد المسلم ، أو الجماعة المحدودة ، عند فقد القادرين على الإصلاح ، وفق مفهوم شرعي صحيح ، زمام الأمور في المجتمع ، فيطفو عليه من ليس أهلا للدراية والمعرفة الخيرة ، ولا يصلح أن يكون أنموذجا

حيا يقتدى به ، فقد فقد كثيراً من مقومات الأخلاق الإسلامية بسبب جهله ، وبعده عن مواطن المعرفة الصحيحة لأمور دينه .

روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم ، وخفت أماناتهم ، وكانوا هكذا " — وشبّك بين أصابعه — فقمت إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك ، جعلني الله فداك ؟ قال : " الزم بيتك وأملك عليك لسانك ، وخذ بما تعرف ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة (٥٣) " فلزوم البيت والحالة تلك ينجي المؤمن من فتن كثيرة ، تهدد دينه ، ونفسه ، وليجعل من همه حفظ لسانه عن الخوض في الأعراض ، وأن لا يشرع لنفسه غير ما يعرف من دينه ، وشريعته ، ويحذر كل الحذر مما ينكر من أقوال ، وأفعال ينسبها المغرضون إلى الدين ، وليست من الدين . ثم عليه الاهتمام بخاصة نفسه ، فلا يجرب عليها الكذب ، ولا النفاق ، ولا الغدر ، ولا الرياء ، فيقوم على تربية ولده ، ونصح أهله ، بما يفعله ، أو يقوله .

وتأتي الوحدة مفهوماً للعزلة — تخضع لعواملها ، وأسبابها في الإطار العام — عند تجنب مخالطة الناس ، والانفراد عنهم ، سلوكا تلقائيا من المسلم ، أو مقصودا منه عند شعوره بالإحباط الشديد لأي سبب من الأسباب ، أو لرغبته في الانفراد ، والتفرغ لإنجاز عمل ما ، في هذه الحالة تكون وحدته مؤقتة، يعود بعدها إلى طبيعة سلوكه الاجتماعي . أما إذا دفع إلى الوحدة دفعا — كعقوبة له ، أو عند كثرة ما يراه ، ويسمعه مما يخالف ما يعرفه من أمور الدين ، عندها سيخضع لتطبيع نفسه على الانفراد .

روى البخاري في صحيحه (٥٤) عن أبي سعيد الخدري قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أي الناس خير ؟ قال : " رجل جاهد بنفسه ، وماله ، ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ، ويدع الناس من شره " .

ووضع البخاري لهذا الحديث عنواناً نصه ، العزلة راحة من خلاط السوء ، فكأنه يشير إلى بعض مزايا العزلة .

قال الخطابي : " ما من أحد جالس الناس في هذا الزمان ، وعاشرهم ، الا قلّت سلامته من الغيبة ، وقال : ولو لم يكن في العزلة إلا السلامة من آفة الرياء ، والتصنع للناس ، واستعمال المداهنة معهم ، لكان في ذلك ما يرغّب في العزلة " (٥٥) .

قال أبو سعيد الخدري سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواضع القطر ، يفر بدينه من القتل (٥٦) " قال ابن حجر في الفتح : لفظه هنا صريح في أن المراد بخيرية العزلة أن تقع في آخر الزمان ، وأما زمانه صلى الله عليه وسلم فكان الجهاد مطلوبا حتى كان يجب على الأعيان إذا خرج الرسول صلى الله عليه وسلم غازيا أن يخرج معه إلاّ من كان معذورا . وأما من بعده فيختلف ذلك باختلاف الأحوال . أ.هـ (٥٧) .

أقول هذا الحديث وما يشابهه يدل على أن سلوك العزلة من المسلم الملتزم سيكون أمرا محققا في وقت تكثير فيه الفتن ، والمراد بالفتن الابتلاء ، والامتحان ، والاختبار . قال ابن الأعرابي : الفتنة الاختبار ، والفتنة المحنة ،

والفتنة المال ، والفتنة الأولاد ، والفتنة الكفر ، والفتنة اختلاف الناس بالآراء . وقيل : الفتنة الضلال والإثم (٥٨) .

وهي علاج ناجح لكثير من الأمراض الاجتماعية ، بعد نفاد القدرة على الإصلاح من القادرين على التوجيه والإرشاد .

والعزلة سلوك قد يلجأ إليها غير راغب بها ردة فعل تلقائي حيال أمر معين غير مألوف في شريعته ، يراه مخالفا لنصوص صريحة ، أو مواقف محددة ، وليس قادرا على التعايش مع مخالفيه ، ولا يملك وسيلة للإصلاح تحقق هدفه . وليس أشق على المصلح ، الذي يعتمد منهجا شرعيا في دعوته إلى الإصلاح ، من أن يجد نفسه بدون سلطان ، بينما يجد عدوه قويا ، قادرا ، ممتنعا . والعامة لا يهتدون – غالبا – إلى الخير إلا إذا عايشوا ما يوجب دعوتهم إليه . فيعتري المصلح حالة من اليأس ، وشيء من الخوف على نفسه ودينه . وفي سيرة بعض السلف الصالح من أمتنا الإسلامية ، نلمس صورا من العزلة تتجسد في نمط سلوكهم عند نشوب الصراعات وأولئك هم ذوو الفقه ، والدراية ، مسترشدين بهدي نبيهم – صلى الله عليه وسلم – إلى خير السبل لتجنب الفتن، وعدم إذكاء نارها بالمشاركة فيها أو تأييدها . قال الخطابي : " والعزلة عند الفتنة سنّة الأنبياء ، وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء (٥٩) . من تلك الصور موقف سعد بن أبي وقاص من النزاع الذي نشب بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم حول مسألة الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

قال سعد لابنه عـامر عندمـا استنهضه للأخـذ بنصيـب مـن الزعامـة : اسكت يا بني ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقـول : " إن الله يحب العبد التقي ، الغني ، الخفي " (٦٠) .

تقي فيما بينه وبين ربه ، وغني بما عنده مـن علـم ومـال ، وخفـي عنـد أدائه ما يتقرب به إلى ربه من نوافل ، وأعمـال صالحـة ، لئـلا يخالطهـا الريـاء ، فيحبط العمل ، ويسلم من تحمل أوزار غيره عنـد الخـوض في أعراضهـم ، مـن غيبة ، أو نميمة .

وعبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عرف عنه حرصه الشـديد في اقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم في القول والعمل . وكان شديد الحـذر من الوقوع في الفتن . ويتضح ذلك جليا في موقفه من فتنة الحجاج بـن يوسـف الثقفي مع عبد الله بن الزبير ، فقد كـان محـايدا ، غـير أنـه لم يفـرط في حضـور جماعة الصلاة حيث يؤذن لها مع ابن الزبـير ، فـإن فاتتـه وسمـع مـؤذن الحجـا ج انطلق فصلّى معه ، فسئل عن ذلـك فقـال : إذا دعونـا إلى الله أجبنـاهم ، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم . وكان ينهى ابن الزبير عن طلـب الخلافة والتعرض لها (٦١) .

وفي أثر عن عمر بن الخطاب – رضـي الله عنـه – أنـه قـال : " خـذوا حظّكم من العزلة " (٦٢) . والحظ النصيب ، فكأنه يقول : لكل مسلم نصيب في العزلة ، فليأخذ نصيبه منها ، ولا يفرط فيـه . فعندمـا يخلـو الإنسـان بنفسـه يراجعها ، ويحاسبها بعيدا عن المؤثرات الاجتماعية ، والضغوط المادية ، فإن هذا سبيل إلى إصلاحها ، وتقويـم مـا اعـوج منهـا . فـالنفس بـالتعهد ، والرعايـة ،

تصلح وتستقيم . وما تركها ، واتباع هواها ، إلا نوع من القصور في الفهم ، والإدراك لدى صاحبها ، قال تعالى : ﴿ وما أُبرّئ نفسي إنّ النّفس لأمّارة بالسّوء ، إلاّ ما رحم ربّي ، إنّ ربّي غفور رحيم ﴾ يوسف /٥٣ .

ونسب إلى محمد بن سيرين ، وهو من التابعين قوله : " العزلة عبادة " (٦٣) ، على اعتبار أن من اعتزل الناس مخافة الوقوع في أعراضهم أو أكل أموالهم بالباطل ، أو عدم القيام بما يجب عليه نحوهم من صلة ونحوها ، كمن تقرب إلى الله بترك المعاصي ، فكلاهما قد انقاد ، وخضع لله تعالى ، واتبع رضوانه .

# الفصل الرابع

# العزلة الشرعية وضوابطها

## المبحث الأول : المفهوم الشرعي للعزلة

لعل من أهم الأسس التي يقوم عليها المفهوم الشرعي للعزلة هي مكانة المعتزل في المجتمع ، وتأثير اعتزاله على نفسه وغيره ، على المدى البعيد ، والقريب.

فالعزلة الفردية تختلف نتائجها وتأثيراتها على الآخرين باختلاف شخصية المعتزل نفسه ، ومكانته الاجتماعية ، فكرا ، وسلوكا . وعلى ضوء ذلك يمكن تصنيف الذين يميلون إلى حب الاعتزال ، أو يضطرون إليه ، وفق أهمية مواقعهم في مجتمعهم ، من حيث القدرة على التأثير ، وتحقيق المنافع لغيرهم ، ومن ثم تفصيل المفهوم الشرعي على عزلتهم .

فعزلة ذي السلطان – مثلا – عن رعيته تضر بمصالحهم المختلفة ضررا بالغا ، ومخلا يظهر في طريقة معالجتها ، وتصريفها ، ويؤخر في وقت إنجازها. ويكون سببا في فقدان تلمس الحاجة ، وتحقيق الصالح العام ، وإعطاء فرصة للمغرضين لكي يحققوا أهدافهم . وكثيرا ما يحيط بذي السلطان في عزلته بطانتان : الأولى تدله إلى الخير . وتحثه عليه ، والأخرى تزين له الشر ، وتدله عليه ، والمعصوم من عصم الله كما جاء في الحديث المرفوع (٦٤) .

ولا يتعرف على حقيقة أحدهما إلا بمعرفة حقيقة الأخرى ، وذلك لا يتأتى بمعزل عن الاختلاط ، ووضع معايير وأنظمة من واقع المجتمع تكفل

للجميع حقوقهم ، وتحد من مكر الماكرين وتلاعبهم . وأما إذا اعتزل الناس ذا السلطان لأي سبب من الأسباب ، فإنه مؤشر يدل على عدم أهليته بينهم . ففي كلتا الحالتين يكون في اعتزاله ما يضر بالآخرين ، وليس من حقه – وهو على رأس السلطة أن يعتزل الناس ، وليس من وصفه بالعدل والحكمة أن يعتزلوه . أما مجالسة ذوي السلطان ، والإكثار منها فإنها خلطة قد تدفع إلى الرياء . قيل لابن عمر – رضي الله عنهما – إنا ندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا ؟!

قال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦٥) . وقال صلى الله عليه وسلم : " من أتى أبواب السلطان افتتن " (٦٦) .

وقال ابن الوزير (٦٧) :

" يخاف من مخالطة السلطان ، أن يخافه أكثر من خوفه الله ، أو يرجوه أكثر من رجاء الله ، أو يذكره أكثر من ذكر الله تعالى ، أو يشكره ، أو يحبه كذلك . وقال : ويخاف عليه ( أي على ذي السلطان ) من فتنة الكبر ، والترفع على الناس . أ . هـ .

وقال الخطابي (٦٨) : قال بعض الحكماء :

" إن الذي يحدث للسلاطين التيه في أنفسهم ، والإعجاب بآرائهم كثرة ما يسمعونه من ثناء الناس عليهم ، ولو أنهم أنصفوهم فصدقوهم عن أنفسهم لأبصروا الحق ، ولم يخف عليهم شيء من أمورهم " أ . هـ

وقيل : إذا أردت أن تنجو فاجتنب ثلاثا :

لا تدخلن على السلطان ، ولا تدخل في وصية ، ولا تحجّ عن ميّت .

والفقيه الذي يحتاجه الناس في بيان الأحكام الشرعية التي تتعلق بشئون حياتهم الخاصة ، والعامة – وهو مازال قادرا على التوجيه والبيان – لا مسوغ لطلبه الاعتزال ، أو رغبته فيه . فإذا فقده الناس بينهم ، أو وجدوا في الوصول إليه مشقة ، وعنتاً ، لجأو إلى أنصاف المتعلمين ، والجهلة من أدعاء العلم والمعرفة ، ومحبي الظهور ، فأفتوهم بعلم ناقص ، يزيد من حيرة السائل ، ويبعده عن التعاليم الشرعية الصحيحة ، فتضيع بذلك السنن ، أو معظمها .

والقوي القادر على التأثير بطريقة أو بأخرى على غيره ، عزلته تضر بالضعفة خاصة ، الذين يلجأون إليه عند حاجتهم . ويقاس على أولئك كل من كان للناس به حاجة من تجار ، وصناع مهرة ، وأطباء وغيرهم ، فبانقطاعهم عن المجتمع يصبح المتطفلون على هذه الأعمال وغيرها أربابا لها . ويمكن هؤلاء وأمثالهم أن يخالطوا غيرهم بأبدانهم ، ويفارقوهم بقلوبهم إذا رأوا منهم ما يخالف منهجهم الشرعي القويم ، وهذا من باب المداراة (ومداراة الناس صدقة) (٦٩) وعن أبي هريرة " رأس العقل بعد الإيمان با لله مداراة الناس " (٧٠) .

قال الحسن البصري : يقولون المداراة نصف العقل ، وأنا أقول هي العقل كله (٧١) ، قال ابن حجر ، قال ابن بطال : المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة ، وتركه الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الإلفة . وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة

فغلط . لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرمة ، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه - وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه . والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك أ.هـ (٧٢) .

والعزلة عند أداء العبادات - من تطوع ، ونوافل - سلوك رغب فه الشارع ، قطعا لوساوس الشيطان ، وحذرا من وقوع المتعبد في شيء من الرياء، الذي من شأنه إحباط العمل وهو لا يشعر . جاء في الحديث المرفوع : "أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة" (٧٣) .

والذي يعتاد المساجد للصلاة نهي أن يوطن له مكانا في المسجد(٧٤) يصلي فيه ، ولا يبدله ، يراه المصلون كلما حضروا للصلاة . بل عليه أن لا يألف مكانا معلوما من المسجد مخصصا يصلي فيه ، كالبعير لا يأوي من عطن إلا إلى مبرك دمث قد أوطنه واتخذه مناخا . وذلك حتى يقطع على الشيطان سبيلا الإغراء به عند سماعه الإطراء من الناس ، فيسلم من الرياء ، ويخلص العبادة لله وحده .

وقال تعالى في سورة البقرة : ﴿ إن تُبدوا الصّدقات فنعمّا هي ، وإن تخفوها وتُؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفّر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير ﴾ البقرة /٢٧١

فالزكاة صدقة مفروضة ، إن بدت للأخرين فنعما هي ، مثالا ، ودليلا على الرضا ، والاستسلام ، والطواعية من المؤمن لربه ، وليس للمتصدق فضل على المتصدق عليه ولا منّة . ونقل الطبري وغيره الإجماع على أن الإعلان في صدقة الفرض أفضل من الإخفاء ، وصدقة التطوع على العكس من ذلك (٧٥) . وأما النافلة من الصدقات فخير أن تؤدى للفقراء والمحتاجين في خفية ، حفاظا على كرامة الفقير من أن يمسها المن ، والأذى من التصدق ، أو التقليل من فرصة الوقوع في الرياء والسمعة . وجاء في الحديث المرفوع " سبعة يظلهم الله تحت ظلّه يوم لا ظل إلا ظله " وذكر منهم : ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه " (٧٦) فإذا بلغ لتحذير المؤمن من الرياء هذا المستوى من الإحاطة ، دل على مدى خطورة الرياء على أعماله التي يتقرب بها إلى الله ، وبالتالي يجب عليه الابتعاد ، والإقلاع عن كل ما من شانه أن يؤدي ، أو يشير ، أو يوحي بالرياء . وأخصب مجالات ذلك هو مجال الخلطة غير الملتزمة. فالعبادة يجب أن تكون خالصة لله تعالى ، يتقرب بها العبد إليه . والرياء والسمعة من أخطر وسائل الشيطان ، ومن ألطفها ، فلا يكاد المؤمن يشعر بهما إلا وقد تلبس بهما . وقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم الرياء شركا أصغر (٧٧) . والله تعالى وتقدس لا شريك له البتة . ولا يحسن أن يكون له شريك . ومن أخص ما يتقرب العبد إليه ، إتيانه بما شرع له ، فإن خالط العمل رغبة العامل في الثناء عليه من الآخرين ، يكون قد صرف ذهنه ، أو شيئا منه في التفكير في غير عبادة الله ، واهتم بالمخلوق مع الخالق ، وقد علم أن كل مخلوق يفتقر إلى الخالق في كل شأن من شئون حياته .

وجاء في الحديث " الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل " (٧٨) .

والخلطة حينئذ تشكل مجالا واسعاً يتسلل منه الرياء في العبادة وعمل الخير إلى نفس العابد ، ومع العزلة تنقطع أسباب الرياء أو تكاد ، وليس أحب إلى الأجير عند تمام عمله من نيل أجره تاما .

ومن كان من الأمة صالحاً صلاحا ينعكس تأثيره على أهله ومجتمعه ، وكان قدوة لهم في عمل الخير ، يسعى به بينهم ، ويسعى بهم إليه ، وقد أراد الله به خيرا ففقهه في الدين ، سقط حقه في العزلة ، وإن رأى من الناس فسادا في الأخلاق ، وبعدا عن سلوك الاستقامة وتقاعسا عن أداء الفرائض ، والواجبات، فهذه أمور تتطلب مضاعفة الجهد ، لا الفرار ومفارقة الفرد للفرد. فالإناء لا يبقى فارغا ، والمجتمع إناء الأمة ، فإذا فرغ من الصالحين ، أو كان عددهم في تناقص ، تحول إلى بؤرة فساد ، ووكر رذيلة ، وامتلأ بالمفسدين في الأرض ، وبرز فيه على رأس السلطة التنفيذية كل جاهل ، أو شبه جاهل ، لا يفقه في شرع الله شيئا محفوظا ، حتى إذا سئل أفتى بغير علم ، فضل ، وأضل . وذلك شبيه بقبض العلم آخر الزمان ، عند قبض أرواح العلماء حتى " إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا "(٧٩) .

فالصالحون في المجتمع يشكلون الرادع القوي الذي يحول دون تفشي الجهل ، وبروز الجهلة في المجتمع ، وتعطيل الحدود والأحكام الشرعية ، فكان حقيقا بالصالحين أن يبقوا جنودا متيقظين في مجتمعاتهم ، يحفظون على الجميع –

بحفظ الله – دينه ، وعقله ، وعرضه ، وماله ، ونفسه . ويكاد لا يختلف الناس من العقلاء في تفضيل العزلة عند وقوع الفتن ، وما كان دون ذلك من الأمور ، فإن أمرها يختلف باختلاف حال كل فرد " والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص ، والأزمان ، ولكل حال مقال " (٨٠) .

وبعد استعراض أكثر جوانب المفهوم الشرعي للعزلة ، يمكن القول بأن العزلة بوصفها سلوكا فإنها تندرج تحت الأحكام الخمسة .

فتكون واجبة على من يتأذى منه الناس ، ذو السلوك العدواني – والنفس المريضة . والخلق المعوج ، يعمد ولي الأمر إلى عزله عن المجتمع تأديباً له وإشعاراً بخطيئته ، فيودعه السجن ، ويقطع عنه سبل اتصاله بأفراد المجتمع مدة يحددها الحاكم . فيجد المحكوم عليه – في السجن – فراغا يلفه من كل ناحية ، وقد كان حرا طليقا ، فيسترجع في نفسه ما أدى به إلى هذه العقوبة ، فكان السجن مثقل وضع في كلتا رجليه ، ويديه يمنعه التنقل والحركة إلا بصعوبة بالغة .

وكذا يجب على حامل العدوى ألا يخالط غيره ، إن كان نوع مرضه ينتقل بالمخالطة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها " (٨١) . ويجب على المؤمن أن يفر بدينه عند وقوع الفتن . جاء في الحديث المرفوع : " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن (٨٢) .

وتكون العزلة مستحبة في حق من خلط عملا صالحا وآخر سيئا . فلكي لا يزداد من السيئات بغيبة أو نميمة عند مخالطته غيره يستحب في حقه تجنب الجماعات والأفراد إلا في حق أو واجب لهم . ويتفرغ للإكثار من عمل الحسنات ﴿ إن الحسنات يُذهبْن السّيئات ﴾ وأما صاحب البدعة فيستحب من الآخرين هجرانه ، والبعد عن مخالطته حتى يكون ذلك إشعارا له باعوجاج مسلكه ، فلربما أناب واستقام . وتكون العزلة مباحة كلما احتاج الإنسان من نفسه الرجوع إلى صفائها ، ومراجعة أعمالها ، فما كان صالحا يحرص عليه ، وما كان سيئا يتجنبه ، فيخلو بنفسه بين فترة وأخرى يتأمل بديع صنع الله فيه ويجدد شكره لله على نعمة الإيمان ، والعافيه ، والأمان . ويباح للمؤمن هجر أخيه فيما لا يزيد على ثلاث (٨٣) . إذا وقعت بينهما مشادة ، حتى يجد كلٌ منهما الوقت الكافي لاستيعاب أصل الخلاف ومن ثم الوصول إلى حل تطمئن معه نفس كل منهما بعد أن يعودا إلى طبيعتهما السوية .

وتكون العزلة مكروهة من الذي يخشى عليه عند تفرده ، ووحدته ، الوساوس والتخيلات ، التي تكسبه صفة التشاؤم ، والخوف والشك . فيصبح مع تماديه في العزلة عضوا غير نافع في المجتمع ، بل قد يكون مصدر إزعاج لأهله وجيرانه ، فيكره في حقه أن يعتزل الناس ، وينفرد بنفسه ، بل يجب أن يشجع ويرغب في الاختلاط بغيره لئلا يجد الشيطان إليه سبيلا .

وتحرم العزلة ممن يحتاجه الناس في شأن من شئون حياتهم الضرورية كالفقيه ، والطبيب ، والصانع الماهر من شتى المهن . ففي عزلة هؤلاء وأمثالهم ما يلحق الضرر بكثير من أفراد المجتمع .

## المبحث الثاني : ضوابط العزلة

ومن ضوابط العزلة في المفهوم الشرعي ألا ينقطع المعتزل عن حضور الجمع ، والجماعات حيث ينادى لها . وأن لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذا رأى ما يستجوب ذلك وفق القاعدة المعروفة " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (٨٤) وأن يرد السلام ، ويحسن الكلام ، ويكف الأذى ، ويعين الملهوف ، ويصل الأرحام .

ويستطيع أحدهم أن يجمع بين فضائل الخلطة ، وبين ما يحقق له ما يجده من راحة نفسية عند الاعتزال ، بأن يخالط غيره بقدر ما يحقق المصلحة المرجوة من الخلطة ، ويقتصر على الأهم من الأمور بمايؤكد انتماءه إلى جماعة المسلمين، ويقلل من الكلام بعدم الاسترسال فيه ، لئلا يجره ذلك إلى الجدل ، والمماراة ، والنيل من الأعراض . ففي العزلة بُعد عن فضول الكلام ، وفيها حفظ اللسان من الغيبة ، والنميمة ، وقبيح الكلام . قال تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة ، أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ النساء/١١٤ .

وقال أحدهم : " لو لم يكن في العزلة أكثر من أنك لا تجد أعوانا على الغيبة لكفى (٨٥) " ، وقال حكيم : " العبادة – أو قال : الحكمة – عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت ، وواحدة في العزلة ، فأردت نفسي من الصمت على شيء فلم أقدر عليه ، فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة (٨٦) .

وقال ابن حجر " اختلف السلف في أصل العزلة ، فقال الجمهور ، الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام ،

وتكثير سواد المسلمين ، وإيصال أنواع الخير لهم من إعانة ، وعبادة.. وقال النووي : المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنّه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى .

قال ابن حجر : إذا تساويا ، فيختلف باختلاف الأحوال . فإن تعارضا، اختلف باختلاف الأوقات . فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر ، فيجب عليه إمّا عينا ، وإما كفاية بحسب الحال والإمكان . وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وممن يستوي من يأمن على نفسه ، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع . وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة ، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة ، لما ينشأ فيها غالباً من الوقوع في المحذور " (٨٧) .

**وقال الخطابي :**

" إن العزلة والاختلاط باختلاف متعلقاتهما فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة ، وأمور الدين ، وعكسها في عكسها . وأما الاجتماع ، والافتراق بالأبدان ، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ، ومحافظة دينه ، فالأولى له الكف عن مخالطة الناس ، بشرط أن يحافظ على الجماعة ، والسلام والرد ، وحقوق المسلمين من العبادة ، وشهود الجنازة ونحو ذلك .

والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال ، وتضييع الوقت عن المهمات ، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغداء ،

فيقتصـــر منه على ما لابد له منه ، فهـــو أروح للبـــدن ، والقلـب ، وا لله أعلم "(٨٨) .

وقال القشيري في " الرسالة " :

" طريق من آثر العزلة أن يعتقد سلامة النـاس مـن شـره ، لا العكـس . فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه وهي صفة المتواضع ، والثاني شهوده مزية لـه على غيره ، وهذه صفة المتكبر " (٨٩) ولعل مع العزلة يتمكن المسلم من حفظ لسانه عن كل ما يمكـن أن يـورده الهـلاك ، مـن سـيء القـول ، والاسـتطالة في أعراض الناس، غيبة ، أو نميمة . وهو لا يـأمن ذلـك إذا خـالط غـيره ، خاصـة السفهاء من الناس. فإن الحديـث في غـير ذكـر ا لله ، وتـلاوة القـرآن ، والعلـم النافع ، والتفكر ، والتأمل في ملكوت ا لله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يخشى على صاحبه الوقوع في المحذور ، قال صلـى ا لله عليـه وسـلم : " فهـل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " (٩٠) وقـال صلـى ا لله عليـه وسلم : " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان ا لله لا يلقي بهـا بـالا يرفعـه ا لله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط ا لله لا يلقـي لهـا بـالا يهـوي بها في جهنم "(٩١) وقال صلى ا لله عليه وسلم لرجـل تنبـأ لميـت بالجنـة " أولا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه ، أو بخل بما لا ينقصه "(٩٢) . ولما كان المسـلم محاسباً لا محالة على كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، وجب عليـه أن يـأخذ جانب الحذر فيما يقول ويفعل . ويزداد عليه عبء المسئولية كلمـا كـان كثـير الغشيان للمجالس ذات الطابع المتساهل في ضبط رغبـات النفـس وشـهواتها . قال ا لله تعالى ﴿ ولا تقف ما ليـس لك به علم إن السمع ، والبصر ، والفـؤاد

كلّ أولئك كـان عنـه مسئولا ﴾ الإسـراء /٣٦ فالعزلـة – بـلا شـك – عـون للإنسان على حفظ حواسه ، خاصـــة الذين تغلب عليهم أهواءهم ، وتسـيرهم شهواتهم إلى شيء من المعاصي ، ولا يملكـون الإرادة اللازمـة لدفـع مثـل تلـك الرغبات الجامحة في أعماقهم ، فـإذا خلـوا بأنفسـهم ، وانقطعـوا إليهـا ، فقـدوا مقدمات الغواية من سمع ونظر ، فتقرب أفئدتهم من الصفاء ، والطمأنينة .

والمعتزل يفقد دواعي الكذب في الحديث . والخلف في الوعد ، والخيانة في الأمانة لابتعاده عـن مظانهـا ، ودوافعهـا ، وأسـبابها . قـال صلـى ا لله عليـه وسلم " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " (٩٣) قال الصنعاني :

" يندرج فيـه تـرك التوسـع في الدنيـا ، وطلـب المنـاصب ، والرياسـة ، وحب المحمدة ، والثناء ، وغير ذلك ممـا لا يحتـاج إليـه المـرء في إصـلاح دينـه ، وكفايته من دنياه " (٩٤) .

وفي العزلة السلامة من الحسد للآخرين ، والشحناء بعـد الخصومـات ، ومحقرات الذنوب التي حذر منهـا الرسـول صلـى ا لله عليـه وسـلم في قولـه : " إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من ا لله طالبا "(٩٥) وفيها التقليل والحـذر مـن تطلع النفس إلى زينة الدنيا وزهرتها ، والاستشراف لها ، ومنافسة أهلها عليها . قال تعالى هاديا نبيه إلى أحســن الأخـلاق ﴿ ولا تمـدن عينيـك إلى مـا متعنـا بـه أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيـا لنفتنهـم فيـه ، ورزق ربـك خـير وأبقـى ﴾ طـه /١٣١ .

وللمتصوفة نظرة تقوم على الزهد ، والتأمل ، والبعد عن كل ما يشغل الذهن عن ذكر الله ، وتدبر آياته ، ولولا ما جاء به بعضهم من شطحات فكرية ، وإبداعات فلسفية حمقاء أبعدتهم عن الدين القويم إلى نزعات الشياطين... ، لكان مسلكهم في الحياة الدنيا هو المسلك القويم .

## الهوامش

١- انظر كتاب العزلة للخطابي تحقيق السواس سنة ١٤٠٧هـ .ص (١١٧).

٢- أخرجه البخاري في الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط .

٣- انظر كتاب العزلة للخطابي ص ١٢٥ .

٤- انظر كتاب العزلة للخطابي ص١٠ .

٥- انظر صحيح البخاري كتاب الرقاق باب رقم ٢٨ ، وصحيح مسلم كتاب الجنة الحديث الأول .

٦- انظر صحيح البخاري كتاب الرقاق باب رقم ١٨ ، وصحيح مسلم كتاب المنافقين الحديث ٧١ .

٧- انظر تهذيب اللغة للأزهري (ج٢ ص١٣٣) ، وتاج العروس ، ولسان العرب.

٨- انظر التعريفات للجرجاني ص١٥٤ .

٩- انظر قاموس علم الاجتماع حرره الدكتور محمد عاطف غيث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص٢٥٧ .

١٠-انظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي للدكتور : عبد المنعم الحفني، ط٤، مكتبة مدبولي ص٤١٠ .

١١-انظر موسوعة السياسة ص٣٦٥ تاليف د. عبد الوهاب الكيلاني وغيره. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص٣٦٥ .

١٢-انظر مجلة العربي الكويتية عدد (٤١١) فبراير ١٩٩٣م .

١٣-أخرجه الخطابي في كتاب العزلة بسنده ص ٢٣ .

١٤-انظر كتاب العزلة للخطابي ص٢٥ .

١٥-انظر قاموس علم الاجتماع ص ٤٠٢ .

١٦-انظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ص٤١٠ .

١٧-انظر كتاب الأمثال من الكتاب والسنة تحقيق علي محمد البحاوي ، مكتبة دار التراث بالقاهرة ، ص٣٧ .

١٨-انظر كتاب الطب النفسي الدكتور عادل صادق ، ط٢ ، سنة ١٤١٠ ، سلسلة كتاب الحرية ، القاهرة ٣٢ .

١٩-انظر صحيح البخاري كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون .

٢٠-انظر صحيح البخاري كتاب الطب ، باب لا هامة .

٢١-انظر صحيح البخاري كتاب الطب ، باب لا هامة .

٢٢-انظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ص ٤١٠ .

٢٣-انظر مجلة العربي الكويتية ، عدد ( ١٢٨ ) ، ص ١٣٨ .

٢٤-انظر سيرة ابن هشام ( ٣٣٤/١ ) .

٢٥-انظر صحيح البخاري . كتاب الآذان ، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر .

٢٦-انظر صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، باب مباشرة الحائض .

٢٧-انظر صحيح مسلم ، كتاب الحيض باب ... رقم (١٦) .

٢٨-انظر تفسير القرطبي (٨١/٤) ، وجامع البيان (٣٨٣/٤) ، وتفسير القرآن للسمرقندي (٦٣٦/١) .

٢٩-انظر الناسخ والمنسوخ لابن العربي ، ج٢ ، ص١٨٠ .

٣٠-انظر تهذيب اللغة ( ١٤ / ٩٨ ) .

٣١-انظر المحرر الوجيز لابن عطية ، طبعة قطر ، سنة ١٤٠٩هـ ، (٥/١٠).

٣٢-انظر معجم ألفاظ القرآن . مجمع اللغة العربية .

٣٣-انظر صحيح البخاري . كتاب الجهاد . باب فضل الجهاد والسير.

٣٤-انظر صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر .

٣٥-انظر تهذيب اللغة ، للأزهري ( ٦ / ٢٩٠ ) .

٣٦-انظر مسند الإمام أحمد ، ٣/٢٦٦ ، عن أنس وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٥٥٥ .

٣٧-انظر صحيح البخاري : كتاب الحيض . باب مباشرة الحائض .

٣٨-انظر صحيح مسلم . كتاب الحيض . باب ( ١٦ ) .

٣٩-انظر سنن أبي داود ، كتاب الطهارة حديث (١٠٣) .

٤٠-انظر صحيح البخاري . كتاب النكاح . باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها .

٤١-انظر صحيح البخاري . كتاب المناقب . باب علامات النبوة في الإسلام.

٤٢-انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٣/١٠) .

٤٣-انظر صحيح البخاري . كتاب الفتن . باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟

٤٤-انظر سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي .

٤٥-سنن الترمذي . تفسير سورة المائدة . وقال : هذا حديث حسن غريب .

٤٦-انظر صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب العزلة راحة من خلاط السوء .

٤٧-انظر المصباح المنير .

٤٨-انظر صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في القبلة . والمقصود من آية الحجاب هي قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ... ﴾ سورة الأحزاب/٥٩.

٤٩-انظر صحيح البخاري . كتاب التفسير . باب ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ... ﴾ البقرة /١٤٣ .

٥٠-انظر صحيح البخاري . كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ﴾ النساء ١٦٦ .

٥١-انظر سنن الترمذي ، كتاب المناقب رقم ١٤ .

٥٢-انظر صحيح البخاري . كتاب بدء الوحي . الباث الثالث .

٥٣-انظر سنن أبي داود . كتـاب الملاحـم . بـاب الأمـر والنهـي رقـم (١٧) وانظر مسند الإمام أحمد (٢/٢١٢) و (٤/١٥٨) و (٥/٢٥٩) .

٥٤-انظر صحيح البخاري . كتاب الرقـاق . بـاب العزلـة راحـة مـن خـلاط السوء .

٥٥-انظر صحيح البخاري . كتاب الرقـاق . بـاب العزلـة راحـة مـن خـلاط السوء .

٥٦-انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج١١/٣٣٢.

٥٧-انظر لسان العرب مادة ( فتن ) .

٥٨-انظر كتاب العزلة للخطابي ( ص ١٧) .

٥٩-انظر صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق طبعة الحلبي (٤/٢٢٧٧).

٦٠-انظر كتاب العزلة للخطابي ص٢٦ .

٦١-انظر كتاب الرقائق لابن المبارك ...

٦٢-انظر كتاب العزلة للخطابي ...

٦٣-انظـر صحيـح البخـاري . كتـاب الأحكـام . بـاب بطانـة الإمـام وأهـل مشورته .

٦٤-انظر معجم الطبراني الكبير ( ١٢ / ٣٣١ ) .

٦٥-انظر سنن أبي داود . كتاب الصيد ، باب في اتباع الصيد . وانظر الترمذي . أبواب الوصايا رقم (٦٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

٦٦-انظر كتابة الأمر بالعزلة لابن الوزير (ص١٠٨) .

٦٧-انظر كتابه العزلة للخطابي ( ص١٢٣) .

٦٨-رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن جابر ، وفيه يوسف بن محمد المنكدر وهو متروك ، وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به ( انظر مجمع الزوائد ١٧/٨) .

٦٩-اخرجه البزار بسند ضعيف . انظر كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي (٣٩٧/٢) . وانظر الطبراني ، حديث رقم (٦٠٦٧) كلاهما عن طريق عبد الله بن عمرو القيسي عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . وانظر مجمع الزوائد (١٧/٨).

٧٠-انظر كتاب العزلة للخطابي ص ١٢٨ .

٧١-انظر فتح الباري لابن حجر ( ١٠ / ٥٢٨ ) .

٧٢–انظر صحيح البخاري . كتاب الأذان . باب صلاة الليل .

٧٣– انظر سنن أبي داود . كتاب الصلاة . باب من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود . وانظر مسند الإمام أحمد ، (٢/٣٢٨،٤٥٣) و (٣/٤٢٨،٤٤٤) .

٧٤–انظر فتح الباري لابن حجر ، ( ٣/٢٨٩) .

٧٥–انظر صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب صدقة ، السر .

٧٦–انظر مسند الإمام أحمد ٥/٤٢٨ . وكشف الخفاء للعجلوني ١/٥٢٥.

٧٧–انظر مسند سنن ابن ماجه . كتاب الزهد . باب الرياء والسمعة . قال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد حسن .

٧٨–انظر صحيح البخاري . كتاب العلم . باب كيف يقبض العلم ؟

٧٩–انظر كتاب سبل السلام للصنعاني (٤/٤٠٧) .

٨٠–انظر صحيح البخاري . كتاب الطب . باب ما يذكر في الطاعون .

٨١–انظر صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب من الدين الفرار من الفتن.

٨٢–انظر صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب من ينهي عن التحاسد والتدابر .

٨٣-انظر صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب (٧٨) .

٨٤-انظر كتابة العزلة للخطابي (ص٤٠) .

٨٥-انظر حلية الأولياء لأبي نعيم (١٤٢/٨) ، وانظر كتاب الصمت لابن أبي الدنيا ص ٣٥ .

٨٦-انظر كتابه فتح الباري لابن حجر (٤٣/١٣) .

٨٧-انظر كتاب العزلة للخطابي (٣٣) .

٨٨-انظر كتاب فتح الباري لابن حجر (٣٣٣/١١) .

٨٩-انظر مسند الإمام أحمد (٢٣١/٥) عن معاذ بن جبل . وانظر سنن الترمذي . أبواب الإيمان . باب ما جاء في حرمة الصلاة ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح .

٩٠-انظر صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب حفظ اللسان .

٩١-أخرجه الترمذي في أبواب الزهد رقم (٢٤١٨) عن أنس ، وقال : هذا حديث غريب .

٩٢-الترمذي (٢٣١٧) ، ابن ماجه ٣٩٧٦ .

٩٣–انظر كتاب سبل السلام . (٤/٢٤٣) .

٩٤–أخرجه ابن ماجه (٢/١٤١٧) كتاب الزهد ، ذكر الذنوب ، ح٤٢٤٢ قال في الزوائد : اسناده صحيح ، رجاله ثقات .

٩٥–أخرجه الترمذي في سننه من أبواب صفة يوم القيامة حديث رقم (٢٦٢٥) عن شيخ من أصحاب النبي صلى ا لله عليه وسلم كان شعبة يرى أنه ابن عمر . انظر مسند الإمام أحمد ٢/٤٣ عن ابن عمر .

٩٦–صححه الحاكم في المستدرك (٤/٣٢٤) ووافقه الذهبي مع أن في إسناده زافر بن سليمان وهو ضعيف . وانظر مسند الشهاب للقضاعي (١٥١).
وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/٢٥٣) وقال : غريب .

## المصادر والمراجع



| اسم المؤلف | عنوان الكتاب | الطبعة | الناشر والمطبعة | سنة النشر |
|---|---|---|---|---|
| الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري | الجامع الصحيح | – | رئاسة إدارة البحوث العلمية | ١٣٧٩ |
| الأزهري | تهذيب اللغة | | الدار المصرية للتأليف والترجمة | ١٣٨٤هـ |
| الجرجاني | التعريفات | – | مكتبة لبنان | ١٩٦٩م |
| د. محمد عاطف غيث | قاموس علم الاجتماع | – | الهيئة المصرية العامة للكتاب | – |
| د. عبد المنعم الحفني | موسوعة علم النفس والتحليل النفسي | – | مكتبة مدبولي | – |
| د.عبد الوهاب الكيلاني وغيره | موسوعة السياسة | – | المؤسسة العربية للدراسات والنشر | |
| تحقيق علي محمد البخاري | الأمثال من الكتاب والسنة | – | كمتبة دار التراث بالقاهرة | |
| د. عادل صادق | الطب النفسي | ٢ | سلسلة كتاب الحرية القاهرة | ١٤١٠هـ |
| الإمام مسلم بن الحجاج | صحيح مسلم ، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي | – | دار إحياء التراث العربي | ١٣٧٤هـ |
| أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي | الجامع لأحكام القرآن | ٣ | دار الكتاب العربي للطباعة | ١٣٨٧هـ |
| أبو جعفر محمد بن جرير | جامع البيان عن تأويل آي القرآن | – | دار المعارف بمصر | ١٣٧٤هـ |

| اسم المؤلف | عنوان الكتاب | الطبعة | الناشر والمطبعة | سنة النشر |
|---|---|---|---|---|
| الطبري | بتحقيق محمود وأحمد شاكر | | | |
| السمرقندي | تفسير القرآن | | | |
| ابن العربي | الناسخ والمنسوخ | | | |
| أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي | المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز | ١ | دار العلوم – الدوحة – قطر | ١٣٩٨هـ |
| مجمع اللغة العربية | معجم ألفاظ القرآن الكريم | – | الهيئة المصرية العامة | ١٩٧٣م |
| الإمام أحمد بن حنبل | المسند | ٢ | المكتب الإسلامي بيروت | ١٣٩٨ |
| ناصر الدين الألباني | سلسلة الأحاديث الصحيحة | | المكتب الإسلامي | ١٣٧٨ |
| أبو داود | السنن | ١ | محمد علي السيد رحمص | ١٣٨٨ |
| أحمد بن علي بن حجر | فتح الباري شرح صحيح البخاري | | المطبعة السلفية | ١٣٧٩ |
| الترمذي | السنن ( وهو الجامع الصحيح ) | | نشرة المكتبة السلفية بالمدينة | ١٣٨٤هـ |
| أحمد بن محمد الفيومي | المصباح المنير | | دار المعارف | – |
| أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور | لسان العرب | | دار صادر/ دار بيروت | ١٣٨٨ |
| عبد الله بن المبارك | الرقائق | | | |
| ابن الوزير | الأمر بالعزلة | | | |
| الطبراني | المعجم الأوسط تحقيق د. محمود الطحان | الأولى | مكتبة المعارف الرياض | ١٤٠٥ |

| اسم المؤلف | عنوان الكتاب | الطبعة | الناشر والمطبعة | سنة النشر |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي | مجمع الزوائد ومنبع الفوائد | ٢ | دار الكتاب بيروت | ١٩٦٧م |
| إسماعيل بن محمد العجلوني | كشف الخفاء ومزيل الإلباس | ٣ | مؤسسة الرسالة بيروت | ١٤٠٣هـ |
| نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي | كشف الأستار عن زوائد البزار | الأولى | مؤسسة الرسالة بيروت | ١٣٩٩ |
| أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري | مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه | ٢ | الدار العربية للطباعة والنشر – بيروت | ١٤٠٣ |
| محمد بن إسماعيل الصنعاني | سبل السلام | ٣ | دار الكتاب العربي | ١٤٠٧ |
| أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني | حلية الأولياء وطبقات الأصفياء | | دار الفكر / المكتبة السلفية | |
| ابن أبي الدنيا | الصمت | | | |
| أبوسليمان حمد بن محمد الخطابي | العزلة – تحقيق ياسين محمد السواس | الأولى | دار ابن كثير دمشق بيروت | ١٤٠٧ |
| عبدالملك بن هشام : | السيرة النبوية | – | دار الفكر للطباعة والنشر | |